الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية

مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين في مقرر كتاب السنة الثانية ثانوي أدبي من خلال كتاب الإنصاف للأنباري

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس(LMD) في اللغة العربية وآدابها

تخصص لغة

إعداد الطالبات:

- إبتسام سعي
- إيمان حامد
- بهية أحمدي
- حياة زريق

إشراف الأستاذ :

علي حلواجي

السنة الجامعية:1434-1435هـ 2013-2014م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

المجادلة ، الآية : (11)

الإهداء

إلى من بثّ فيا الروح إلى هذا الزمان ، إلى من حفاني بنعمه الجليلة وآلائه ، ومن رزقني رزقا طيبا مباركا ... نعم الإيمان

الله حسبي .

إلى من أخرجني من الظلمات إلى نور الهدى والتقى ... أسوتي وقدوتي وقائدي إلى جنتي محمد القرشي عليه أفضل الصلاة و

أزكى التسليم .

إلى من كدّ وجدّ من أجلي وتحمل مصاعب الحياة لأكون نورًا ... ومشعلاً ... رمزًا للصبر وتحمل المعاناة **أبي الغالي أحمد** .

إلى التي أطعمتني رغيف العلم ، وأسقتني بماء الحبر ، إلى ينبوع الحنان ورمز الأمان ، إلى التي تصنع الأحلام وتتحمل الألآم ... إلى من كان لها الفضل الكبير والجهد العظيم ، إلى من شجعتني ... وعلمتني كيف أنهل من الدنيا صعاب الأمور ، إلى القلب الكبير ، إلى الدرب المنير ، إليها والفضل لها وكل شكر بها جدير ، لن أفيها حقها مهما فعلت ومهما قاومت ... أشكرها بصدق وحب واحترام **أمي الغالية فاطمة** .

إلى **إخوتي** الفضلاء حفظهم الله كل واحد باسمه .

إلى من تحملنا معي صعب الحياة ومرّها ، إلى من أنشدن معي سنفورية الأخوة والمحبة **أخواتي** الفضليات حفظهن الله كل واحدة باسمها .

إلى أحبائي الصغار ، منار ، مهند ، نور ، نوار ، عبد الله ، معاذ ، يعقوب ، سارة ، خديجة ، خولة بلقيس .

إلى كل أقاربي وذوي رحمي .

إلى زميلاتي الغاليات إيمان ، حياة ، بهية .

إلى كل طالب شغوف بالعلم .

إلى كل من عرفت ومن لم أعرف .

أهدي هذا العمل المتواضع

إبتسام

الإهداء

إلى من تسبح الكائنات باسمه ، وتشرح الصدور برحمته ، وتيسير الأمور بفضله سبحانك ربٍ .

إلى الحبيب المصطفى مخرج العباد من الظلمات إلى النور محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

إلى من علمتني معنى الحب والعطف والحنان **أمي الغالية** رحمها الله راجية من الله أن يسكنها فسيح جناته .

إلى من علمني كيف أخوض غمار الحياة ، وتخطي المصاعب ، وشاركني المسؤولية **أبي الغالي** وتاج رأسي .

إلى من استطاعت أن تحضننا تحت جناحها وأنشأت بيننا المودة والرحمة والحب **زوجة أبي** .

إلى من هم فرحتي في الحياة **إخوتي** و **أخواتي** خاصة قرة عيني زينب ، حليمة ، شيماء ، مريم .

إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها .

إلى كل الأقارب .

إلى صديقاتي اللاتي حملنا معي شعار العلم والمعرفة .

إلى كل من يزرع بذرة علم ويسقيها بالمعرفة .

أهدي هذا العمل المتواضع إيمان

الإهداء

إلى من أعز الله بهم الإسلام علماء الأمة وسادة الدنيا في العلم والمعرفة .

إلى التي حملتني في بطنها تسعة أشهر وتحملت الألآم **أمي الغالية** أطال الله في عمرها .

إلى من علمني الصبر وعزة النفس ، إلى من فتح لي سبيل العلم ودفعني إليه دفعًا إلى متني المتين **أبي الغالي** أطال الله في عمره .

إلى كل أفراد أسرتي **إخوتي** و **أخواتي** راجية من المولى عز وجل أن يرزقهم دوام التوفيق والنجاح .

إلى كل طالب شغوف بالعلم .

إلى عشاق الأدب .

إلى الذين وقفوا جانبي في السراء والضراء .

إلى كل من تجمعني بهم صلة الرحم والصداقة ولم نأتي على ذكرهم .

إلى كل من ساندني وشجعني من قريب وبعيد .

إلى هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع بهية

الإهداء

إلى الذي فتح أبواب الجنان وزينها لأهل الهدى والإيمان وملئها بالحبور والسرور وأعدها بالأنهار والقصور أحمده على جميع الإحسان وأشكره على جليل الفضل والامتنان ، الله حسبي .

إلى الحبيب المصطفى وشفيعي يوم الحساب رسولي محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من قال فيهما الرحمن ﴿ وقضى ربك ألا تعبدُ إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ﴾

إلى المكنونة في الفؤاد وعلمتني معنى الحب والحنان والتي سهرة من أجلي الليالي الطوال **أمي الحبيبة الغالية** أطال الله في عمرها وحفظها ورعاها .

إلى روح **أبي** الطاهرة الذي لطالما انتظر هذا اليوم ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن رحمه الله تبارك وتعالى داعية من المولى عز وجل أن يسكنه فسيح الجنات في جوار نبيه ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من كان تشجيعهم ودعمهم لي شمعة أنارت دربي **إخوتي** الأعزاء و **أخواتي** الفضليات كل واحد باسمه .

إلى من قاسماني ثمرة هذا العمل الصديقات العزيزات إبتسام ، إيمان ، بهية .

إلى الصديقة والأخت التي لم تلدها أمي حورية .

إلى كل الأهل والأقارب .

إلى كل زملاء قسم اللغة العربية .

إلى كل من سلك طريق للعلم سبيلاً .

أهدي هذا العمل المتواضع حياة

شكر وعرفان

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء ، وكتب على غيره الفناء وصلى الله على محمد حين اصطفاه

وسلم على ذك الوجه ما أبهاه .

إنا لنحمد الله تعالى الذي منحنا القدرة على إنجاز هذا العمل وبعد :

امتثالاً لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في الشكر والثناء على كل من أسدى معروفًا أو نعمة فحقٌ علينًا بعدما استوى هذا العمل على سوقه أن نعترف بالفضل لذويه ونتقدم بالشكر والتقدير والامتنان لكل من ساعدنا على إكمال هذا العمل ونشكر الأستاذ المشرف **علي حلواجي** على ما أسداه إلينا من جميل عندما احتضن بحثنا ولما منحنا من نصائح وتوجيهات .

وإن كتب لنا النسيان فإننا لا ننسى فضل الأخ الكريم **محمد زريق** .

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نوجه شكرنا وتقديرنا لكافة أساتذة فرع اللغة وآدابها وطاقم مكتبة الجامعة الذين لم يبخلوا علينا بالمساعدة في اقتناء الكتب .

والشكر والتقدير لكل من قدم لنا نصيحة أو إرشادًا أو دعاءً بظهر الغيب داعينا من المولى العلي الكريم أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة .

مُقَدِّمَةٌ

مُقَدِّمَة

بسم الله الجبّار ، خالق الأقدار ، مكور الليل والنهار ، يعلم ما في الأنفس والأخطار ، مسيّر الكواكب والنجوم والأقمار ، من بيده ملكوت كل الأقطار ، ربي أعوذ بك من عذاب النار ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الأخيار ، القرشي الهاشمي المختار ، صَلّ اللهم وسلّم عليه عدد الأسماك في البحار ، وعدد طرف ما مُدّت إليه الأبصار وزاد عليه وعلى آله الأطهار أما بعد :

إن اللغة العربية هي معجزة الله اختصّ بها العرب دون سائر شعوب الأرض ، لتكون وعاء لكتابه الكريم الذي أنزله على رسوله الأمين ، قانونا سماويا لينظم للناس أمور حياتهم ومعيشتهم في عالم الشهادة ، ليفوزوا بالنعيم والثواب في عالم الغيب ، عملا بقول الله تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَا بِلسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيَنَ لَهُمْ ﴾** . [1]

ظلت اللغة العربية نقية متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الإعجام إلى أن سطع نور الإسلام على الجزيرة العربية وأنار العقول والألباب بالفتوحات الإسلامية ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا من فرس وروم ، وكان من أثر الفتوحات اختلاط العرب بغيرهم من أهالي بلاد شبه الجزيرة العربية اختلاطا مستمرًا في البيوت والأسواق والمناسك والمساجد ، وتصاهروا واندمج بعضهم في بعض حتى تكوّن منهم شعب واحد ، وبطول هذا الامتزاج بين العرب والأعاجم ، وتولّد من هذا كله أن اللغة العربية تسرب إليها اللحن .

[1] – سورة إبراهيم ، الآية : 04 .

فمن هنا بدأ ظهور النحو العربي على يد **أبي الأسود الدؤلي** إرشادًا من **علي رضي الله عنه** حيث نشأ في العراق في صدر الإسلام نشأة عربية للأسباب التي دعت إلى وضعه والتي تندرج – في مجملها – تحت ظهور اللحن وشيوعه في لغة العرب . ثم تدرّج به التطور تمشّيًا مع سنة الترقّي حتى كملت أبوابه ، غير مقيس على لغة أخرى ، لا في نشأته ولا في تدرّجه .

بعد ظهور النحو العربي وتطوّره تطورًا ملحوظًا ، بدأت الآراء تختلف وتتضارب بين النحويين وأدى ذلك الاختلاف والتضارب إلى ظهور مدارس نحوية كل لها منهجها الخاص في استنباط أحكامها ، فكانت مدرسة البصرة هي الحضن الأول للنحو العربي وهي السبَّاقة في وضعه ، وكان علماؤها أعمق وأدق عقلا من علماء مدرسة الكوفة وكانوا أكثر استعدادًا لوضع العلوم ، إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني ، فعقل أهل البصرة كان مصبوغًا بالصبغة الفلسفية المنطقية ، وهذا ما ساعدهم على صياغة النحو في أدق صورة علمية ، أما بداية الدراسات النحوية الكوفية كانت متأخرة عن البصرة بنحو قرن من الزمان فكانت الكوفة آنذاك قد انشغل أهلها بالقراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف وأصول الفقه ودراسة آيات الأحكام إلى جانب رواية الشعر ودراسة الأدب .

بدأ الخلاف بين مدرسة البصرة والكوفة في المسائل العلمية والنحوية ، فكلا المدرستين النحويتين ينتمي إليها نحوي من أصحاب النحو العربي ، فمدرسة البصرة النحوية ينتمي إليها **سيبويه** والكوفة ينتمي إليها **الكسائي** ، ومن ثمة فكل مدرسة تنتصر لمسائلها دون أخرى ، وقد اخترنا أن نبحث في هذا الجانب فجاء عنوان بحثنا كالآتي : **مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين في مقرّر كتاب السنة الثانية ثانوي أدبي من خلال كتاب الإنصاف للأنباري .**

وقد تم اختيارنا لهذا الموضوع بمساعدة من الأستاذ المشرف ولأسباب أهمها :

-رغبتنا في البحث في التراث اللغوي لأمتنا العربية ومعرفة تاريخ المدرستين البصرية والكوفية .

- تجنب كثير من الطلبة دراسة النحو العربي وأصوله وذلك لصعوبته .

- عدم وجود بحوث تطرقت للخلاف بين المدرستين في المسائل الخلافية .

وفي بداية هذا البحث طرحنا الإشكالية التالية : **إلى أي مدى وصل الخلاف بين المدرستين ؟ وماذا ترتّب عنه ؟ وما أثر ذلك في مناهجنا التعليمية المعاصرة ؟**

بعد اختيارنا للموضوع وطرحنا للإشكالية اعتمدنا في بحثنا هذا مسلكًا ، ابتدأناه بمقدمة احتوت على دوافع نشأة النحو، ثم تلتها أربعة فصول ويندرج تحت كل فصل عدة مطالب .

تناولنا في **الفصل الأول** دراسة حول مدرستي البصرة والكوفة النحويتين والخلاف بينهما تضمّن المطلب الأول تعريف مدرسة البصرة ثم تطرقنا إلى نشأتها ، ومنهجها العام وذكر أشهر أعلامها وكان المطلب الثاني يدور حول مدرسة الكوفة كذلك عرّفناها وبيّنا نشأتها ومنهجها وأشهر أعلامها أما المطلب الثالث فتناول الخلاف بين المدرستين في الأسباب والأصول .

ثم تطرقنا في **الفصل الثاني** إلى كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ومؤلفه ، درسنا في المطلب الأول حياة المؤلف : اسمه ومولده ونشأته وأخلاقه ورحلاته ومؤلفاته واشتغاله بالتدريس والتأليف ومكانته العلمية وآراء العلماء فيه وشيوخه وتلاميذه ، ثم درسنا في المطلب الثاني كتاب الإنصاف: فعرفناه وذكرنا سبب تأليفه وأهمية الكتاب – أي الإنصاف – ومنهجه وما يحويه الكتاب .

أما **الفصل الثالث** فقد دار حول كتاب السنة الثانية ثانوي أدبي ومقرّر النحو فيه ، فكان المطلب الأول فيه وصفًا شكليًا للكتاب : اسمه والمشرفين عليه والمؤلفين والمصممين وحجمه ومحتوياته وتضمن المطلب الثاني مقرّر النحو حيث عرضنا منهج الكتاب والمواضيع المقررة في قواعد النحو .

وكان **الفصل الرابع والأخير والتطبيقي** حول دراسة المسائل الخلافية بين المدرستين في المدونة فكان المطلب الأول مناقشة للمسائل المختلف فيها وذلك بعرض كل منها كما جاءت في الكتاب المدرسي وذكر رأي كلا المدرستين ورأي الأنباري فيها ثم الخروج بنتيجة مناقشتها ، أما المطلب الثاني فقد أ لمَّ بنتائج الدراسة المتحصل عليها ثم خاتمة .

ولهذا فقد كان المنهج المعتمد وصفيا تحليليا مستعينين بالمنهج التاريخي في التعريف بالمدرستين ، وقد استعنا في بحثنا هذا على مصادر ومراجع استقينا منها المادة العلمية التي خدمت موضوعنا على رأسها :

– أبي البركات بن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – تواتي بن تواتي ، المدارس النحوية .

– صلاح روّاي ، النحو العربي نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله .

– محمد معروف ، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة (دراسة وصفية تحليلية) .

ولعلّه من المفيد أن نشير إلى بعض العوائق والصعوبات التي واجهتنا أثناء قيامنا بهذا البحث من بينها قلة المراجع المتخصصة في هذا المجال ، وتشعب المادة العلمية واختلاف الآراء المتضاربة بين الكتب وصعوبة انتقائها واختيارها ولقد حاولنا قدر الإمكان تذليل كل ذلك وتجاوزه .

وفي الأخير نشكر الأستاذ المشرف الذي أتاح لنا فرصة الاطلاع على هذا الموضوع ، والفضل للمولى عزّ وجلّ العلي العظيم الذي أمدّنا بالوسع والطاقة ، والصبر والمصابرة ، لذا نسأله تعالى أن يكون عملنا هذا في المستوى العلمي المطلوب ، فالله الموفّق والهادي إلى سبيل الرشاد .

الفصل الأول:

مدرستا البصرة والكوفة والخلاف بينهما .

المطلب الأول : مدرسة البصرة وأعلامها .

المطلب الثاني : مدرسة الكوفة وأعلامها .

المطلب الثالث : أصول الخلاف بين المدرستين .

الفصل الأول : مدرستا البصرة والكوفة والخلاف بينهما :

المطلب الأول : مدرسة البصرة :

في البصرة وضع علم النحو على يد أبي الأسود الدؤلي بإرشاد وتوجيه من الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم حمل لواءه بعده تلاميذه عبد الرحمن بن هرمز وميمون الأقرن وعنسبة الفيل ، ثم تابعهم عليه تلاميذهم ، يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم ، وعبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو بن العلاء ، وجميعهم من قراء البصرة .

والآن نسوق حديثا مفصلا عن البصرة باعتبارها مهد الدراسات النحوية ولما لها من سبق في هذا المجال ، لنتبين منه الأسباب التي جعلت علماؤها يفكرون في هذا العلم الهام قبل غيرهم من علماء البلدان الأخرى .

إن هذا الحديث عن المدرسة يقودنا للحديث عن البيئة التي ظهرت فيها وذلك ما للبيئة من أثر فعال في تشكيل العقلية.

1: تعريف البصرة :

1.1: التعريف اللغوي : يقول الفيروز آبادي :

" البصرة بلد معروف ، ويكسر ويحرك ، وبكسر الصاد : الأرض الغليظة وحجارة رخوة فيها بياض وبالضم : الأرض الحمراء الطيبة ، أو هو معرب (بس راه) أي : كثير الطرق " .[2]

وقال غيره البصرة هي : " الأرض الغليظة ذات الحجارة الصلبة . وقيل الأرض ذات الحصى وقيل الحجارة الرخوة البيضاء ، وقال بعضهم إن البصرة تعريب بس راه بالفارسية ومعناه الطرق الكثيرة المتشعبة والأول أرجح " [3]

2.1: التعريف الاصطلاحي :

هي المدينة العربية المعروفة اليوم بأرض العراق ، وهي مدينة تجارية على شط العرب حيث يصب نهرا دجلة والفرات مياههما في البحر وهي تقع على مسافة ثلاثمائة ميل إلى الجنوب الشرقي من بغداد [4] وقد مصرت أيام الخليفة الراشد بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الرابع عشر للهجرة 14هـ وقيل الخامس عشر 15هـ .

أما عن سبب تسميتها البصرة فقد ذكر الشرقي بن القطامي " أن المسلمين حين وفدوا على مكان البصرورة للنزول بها نظروا إليها من بعيد فقالوا : إن هذه أرض بصرة يعنون حصبة فسميت بذلك " . [5]

---

[2] – آبادي ، الفيروز، القاموس المحيط ، باب الراء فصل الباء ، المطبعة المصرية ، دط ، 1933م

[3] – البستاني ، بطرس، دائرة المعارف ، ج5 ، دار المعرفة ، لبنان ، دط ، دت ، ص 453 .

[4] – دائرة المعارف الاسلامية ، ج3 ، مطبعة القاهرة ، دط ،1933م، ص 669 .

[5] – الحموي ، شهاب الدين ياقوت ، معجم البلدان ، م1، تحقيق عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1990م، ص 510

وروي أن عتبة بن غزوان لما أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصف له المكان الذي اختاره منزلا لجنوده بقوله : " وجدت أرضا كثيرة القِضّة في طرف البّر إلى الريف . ودونما مناقِع فيها ماء وفيها قصباء ، وقال عمر : هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب " . [6]

و**القِضّة** : الأرض المنخفضة التي ترابها رمل ، والقصب بفتح الصاد ، كل نبات ذي أنابيب والواحدة قصبة وجمعها قصباء .

مما تقدم يتضح أن البصرة مكان تربته لينة رخوة ، كثير الماء ، صالح للزراعة أي أنه صالح للسكن ويمكن تطويره والاستفادة من مكوناته الطبيعية .

2: نشأة المدرسة البصرية :

كانت البصرة موطن العلوم العقلية ، نشأ فيها علم الكلام وظهر الدعاة الأوائل لمذهب المعتزلة الذي لعب دورًا كبيرًا في تاريخ الفكر الإسلامي ، والبصرة كما يعرف عنها حكّمت المنطق وأخضعت الأصول إلى أحكام العقل إن وجد تعارض بين النقل والعرض واصطنعت أساليب المتكلمين في تثبيت أصل أو توضيح القواعد ، وفي البصرة كذلك اختلطت الثقافات وقد استفادت البصرة من ثقافات الأعاجم عن طريق الاختلاط ، وعن طريق الترجمة والتعريب . وفي البصرة ترجم ابن المقفع منطق أرسطو ، وكليلة ودمنة ، كما أن البصرة كانت السباقة للبحث اللغوي ، حيث أفنى الأفذاذ أعمارهم في الانتقال والبحث والتسجيل ، بدأ من أبي الأسود الدؤلي ، وعبد الله بن إسحاق الخضرمي ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد

[6] – السيد ، عبد الرحمن ، مدرسة البصرة النحوية ، دار المعارف ، مصر ، دط ، 1968م ، ص 22 .

وسيبويه ، والمبرد ... إلى حدود الطبقة العاشرة أين وضعت القوانين النحوية بها في شكلها النهائي إلاّ أن ركائز البحث اللغوي الذي أصبح فيما بعد يُلقب بالمدرسة البصرية .كان عماده الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وهب نفسه للبحث ، حيث كان يرتحل من بادية إلى أخرى ليجمع المعلومات ويجالس البدو ويقيم معهم ، ويتعب في البحث عن من يُسند له مسألة ، ومن يؤكد له معلومة فيأتي بالمادة إلى طالبه النبيه سيبويه حيث يفرغ المادة المجموعة ويعمل على تدوينها ثانية وتنقيحها وتبويبها وأمام هذا الزخم العلمي ، ظهر البحث اللغوي .[7]

ويرى بعض الباحثين أن عددًا غير قليل من القضايا التي استقرت عليها المدرسة البصرية غير صحيح من الناحية اللغوية، لأنها فسرته في ضوء نظر عقلي معين ، وصحيح أنه مجلوب لكنه في الوقت نفسه لا يطابق الواقع اللغوي .

ومع ذلك فقد ظل التعصب شديدًا للبصرة منذ القديم، بل ظل موجودًا عند عدد من الدارسين المعاصرين وبخاصة في مواجهة النحو الكوفي. والحق أن الدراسة الموضوعية لكلتا المدرستين تبيّن أن كثيرًا من المسائل التي ذهب إليها الكوفيون أقرب إلى الواقع وإلى المنهج النحوي الصحيح من تلك التي ذهب إليها البصريون.[8]

[7] – المرجع السابق ، ص 147 .

[8] – الراجحي ، عبده ، دروس في المذاهب النحوية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، 1970 م ، ص 11 – 12 .

3: خصائص المنهج البصري :

لقد أجمع النحاة قديما وحديثا على أن منهج نحاة البصرة يقوم على خصائص تبعدهُ عن نظر نحاة الكوفة وقد توصل الباحثون إلى حصر هذا المنهج في ثلاث نقاط :

أولا: كان البصريون يؤمنون بمبدأ الكثرة ولا يجيزون القياس إلا على الأكثر المشهور .

ثانيا: كان البصريون لا يوثقون أي واحد من العرب في الأخذ عنه فإنهم قد تحرجوا في ذلك أشد التحرج فلم يأخذوا من عدة قبائل متاخمة للمدن (كالعرب المجاورين للبصرة والكوفة) على اعتبار أن لغتهم شابها فساد .

ثالثا: كانوا لا يطمئنون إلى كل رواية ترد عن العرب الجاهلية إلا بعد تدقيق وتمحيص فوضعوا مقاييس لتصحيح هذه الروايات الواردة عن العرب ، فكان منهجهم في الدقة والتشدد كالمنهج الذي اعتمده علماء الحديث أو أشد . وكانوا يرفضون كل ما شذ من الروايات . [9]

4: أعلام مدرسة البصرة :

1.4: ابن أبي إسحق :

هو عبد الله بن أبي إسحق مولى آل الحضرمي المتوفي سنة 117 للهجرة وفيه يقول ابن سلام "كان أول من بعج (فتق) النحو ومدّ القياس وشرح العلل . وبذلك يجعله الواضع الأول لعلم النحو إذ يجعله أول من اشتق قواعده وأول من طرد فيها القياس ، بحيث يحمل ما لم يسمع عن العرب على

[9] – بن تواتي ، تواتي، المدارس النحوية ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، دط ، دت ، ص 76 .

ما سمع عنهم ، وهو لم يعن بالقياس على النحو فحسب ، بل عُني أيضا بالتعليل للقواعد تعليلا يمكن لها في ذهن تلاميذه ، وجعله تمسكه الشديد بتلك القواعد المعللة والقياس عليها قياسا دقيقا بحيث لا يصح الخروج عليها ، يخطئ كل من ينحرف في تعبيره عنها وكان لذلك كثير التعرض للفرزدق لما كان يورد في أشعاره من بعض الشواذ النحوية ".[10]

2.4: سيبويه :

هو عمرو بن عثمان بن قنبر . وبعضهم يختزل نسبه فيقول عمرو بن قنبر .[11]

اشتهر بلقبه سيبويه وهو لقب أعجمي يدل على أصله الفارسي من موالي بن الحارث بن كعب وُلد بقرية من قرى شيراز تسمى البيضاء ، وفيها أو في شيراز تلقّن دروسه الأولى وطمحت نفسه للاستزادة من الثقافة الدينية ، فقدم البصرة لايزال غلاما ناشئا ، والتحق بحلقات الفقهاء والمحّدثين ولزم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدّث المشهور حينئذ وحدث أن لفته إلى أنه يلحن في نطقه ببعض الأحاديث النبوية فصمّم على التزود أكبر زاد بشئون اللغة والنحو ، ولزم حلقات النحويين واللغويين وفي مقدمتهم عيسى بن عمر والأخفش الكبير ويونس بن حبيب . واختصّ بالخليل بن أحمد أخذ منه كل ما عنده في الدراسات النحوية والصرفية مستمليا ومدّونا واتبع في ذلك طريقتين : طريقة الاستعلاء العادية ، وطريقة السؤال والاستفسار ، مع كتابة كل إجابة وكل رأي يدلي به وكل شاهد يرويه عن العرب ، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية ولم تذكر كتب التراجم أنه

[10] – معروف ، محمد ، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة (دراسة وصفية تحليلية) ، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج ، دط، 2010م ، ص 31 – 32 .

[11] – سيبويه ،لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 03 .

رحل إلى البادية في طلب اللغة والسماع عن العرب ومشافهتهم ، ويظهر أنه لم تطب له الاقامة ببغداد فولى وجهه نحو موطنه غير أن الموت عاجله في شيراز ، وقيل في همذان أو ساوة ، واختلف الرواة في تاريخ وفاته والأرجح أنه توفي سنة 180 للهجرة .[12]

3.4: الأخفش الأوسط :

وهو أبو الحسن سعيد بن مَسْعدة ، فارسي الأصل مثل سيبويه ، وقد لزمه وتلمذ له ، وأخذ عنه كل ما عنده .[13]

وهو الذي روى عنه كتابه ، بل كان الطريقة الواحدة إليه ، إذ لا يُعرف أحد سواه قرأه على سيبويه أو قرأه سيبويه عليه ، ويُروى عنه أنه كان يقول : " كنت أسأل سيبويه عما أشكل عليّ منه فإن صعب الشيء منه قرأته عليه " . وقد جلس بعده للطلاب يمليه ويشرحه ويبيّنه ، وعنه أخذه تلاميذه البصريون من مثل الجرمي والمازني ، وأخذه علماء الكوفة وعلى رأسهم إمامهم الكسائي ولما رأى اهتمام تلاميذه الكوفيين جميعا بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف صنع لهم كتاب المسائل الكبير ، وله كتب أخرى سقطت من يد الزمن مثل كتب الأوسط في النحو وكتاب المقاييس وكتاب الاشتقاق وكتاب المسائل الصغير ، وكان يُعنى بشرح الأشعار ، وله فيها كتاب معاني الشعر ويقال إنه أول من أملى غريب كل بيت من شعر الخليل في بحر المتدارك أو الخبب ، ويظهر أنه إنما زاد اسمه فقط إذ نجد للخليل أشعارا على وزنه ويقول الجاحظ أنه كان ينشر في مصنفاته ضربا من الغموض والعسر ، حتى يلتمس منه الناس تفسيرها رغبة في التكسب بها ، وقد ترك البصرة إلى بغداد بأخرة

---

[12] – معروف ، محمد ، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة ، ص 32 – 33 .

[13] – ضيف ، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط11، 2008م، ص 94.

من عمره ، ومازال الطلاب يقبلون من كل حدب على دروسه وإملاءته حتى توفي سنة 211 للهجرة . [14]

4.4: المبرّد :

المبرّد لقب اشتهر به أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى الثمالي فهو عربي أزدي يماني من بني ثمالة [15]، ولد بها سنة 210هـ ، وقيل سنة 207هـ ، وقيل بل سنة 195هـ وأكبَّ منذ نشأته على التزود من اللغة من أعلام عصره البصريين وشغف بالنحو والتصريف فلزم أبا عمر الجرمي يقرأ عليه كتاب سيبويه ، حتى إذا توفي لزم أبا عثمان المازني وتصدر حلقته يقرأ عليها الكتب ، والطلاب يسمعون قراءته وبلغ من إعجاب المازني بفطنته أن لقبه بالمبرّد بكسر الراء لحسن تثبته وتأتيه في العلل ، وحور الكوفيون اللقب إلى المبرَّد بفتح الراء غشا له وسوء قصد ، ويلمع اسمه وتطير شهرته....وقد مضى يحاضر الطلاب ببغداد في النحو واللغة وسرعان ما اصطدم بثعلب زعيم مدرسة الكوفة لعصره ، وكثرت بينهما المناظرات وكتب له فيها دائما التفوق على صاحبه لقدرته على الجدل وإصابته للحجة وحسن بيانه ، مما جعل كثيرين من تلاميذ ثعلب يتحولون إلى حلقته ، يتقدمهم ختنه أبو علي الدينوري ، ومازال مفرغ لطلاب اللغة والنحو ببغداد حتى توفي سنة 285هـ وقيل سنة 286هـ . " **بتصرف** " [16]

5.4: أبو إسحاق الزجاج :

---

[14] – معروف ، محمد ، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة ،ص 34 – 35 .

[15] – نحلة ، محمود أحمد، النحو العربي أعلام ونصوص ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 2002 م ، ص 39 .

[16] – ضيف شوقي، المدارس النحوية ، ص 123 – 124 .

هو أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرّى بن سهل ، وسمي بالزجاج لأنه كان يخرط الزجاج في حداثته فنسب إليه [17] ورغب في درس النحو، فلزم المبرد وكان يعلم مجانا. فجعل له على نفسه درهما كل يوم أجرة على تعليمه ، وظل يؤديه إليه طوال حياته ، وحسن رأى المبرد فيه ، حتى كان من يريد أن يقرأ عليه شيئا من كتاب سيبويه أو غيره يأمره بأن يعرض على الزجاج أولا ما يريد قراءته . والتمس منه بعض ذوى الوجاهة معلما لأولادهم. فأسماه لهم ولم يلبث عبيد الله بن سليمان وزير الخليفة المعتضد أن طلب منه معلما لابنه القاسم فقدمه إليه ، ولما وزر القاسم بعد أبيه اتخذه كتابا له فأقبلت الدنيا عليه ، وأصبح من جلساء الخلفاء ومن تجري عليهم روايتهم، وظل في عيشة رخية حتى توفي سنة 310 هـ .[18]

6.4: السيرافي :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، ولد بسيراف سنة 270 هـ ، وكان أبوه مجوسيا يسمى بهزاد ، فأسلم وتسمى باسم عبد الله . ويظهر أنه دفع ابنه إلى التعلم منذ نعومة أظفاره ، ولم يلبث التلميذ الناشئ أن أكبَّ على دروس اللغة والدراسات الدينية ببلدته ، ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى خرج إلى عمان وثقفه على شيوخها ، ثم تحول عنها إلى بغداد ، فدرس اللغة على ابن دريد والنحو على ابن السراج والقراءات على أبي بكر المجاهد .... وكان يشغف شغفًا شديدًا بكتاب سيبويه ، فألف عليه شرحه المطول الذي لم يطبع إلى اليوم .... وألف مُصنفًا في شرح

[17] – السامرائي ، إبراهيم عبود ، المفيد في المدارس النحوية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط1 ، 1427 هـ – 2007 م ، ص 78 .
[18] – معروف ، محمد، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة، ص 36.

شواهد سيبويه ومُصنفًا ثانيا سماه المدخل إلى الكتاب . وترجم لنحاة البصرة في كتابه " أخبار النحاة البصريين ". ومازال يوالي نشاطه في التأليف والتصنيف حتى توفي سنة 367 هـ. " **بتصرف** " [19]

المطلب الثاني: مدرسة الكوفة :

بدأت المدرسة النحوية في الكوفة متأخرة عنها في البصرة بنحو قرن من الزمان، وذلك لأمور تتعلق بطبيعة موقع كل من المدينتين، وطبيعة تكوين شعبها ونمط الحياة فيها.

1: تعريف الكوفة :

جاء في القاموس المحيط : " الكوفة – بالضم – الرملة الحمراء المستديرة ، أو كل رملة تخالطها حصباء " [20]

وذكر ياقوت الحموي الكوفة – بالضم – " المصدر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ... وسميت الكوفة لاستدارتها أخذا عن قول العرب : رأيت كُوفانا وكَوفانا ، بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد من قول العرب ، قد أعطيت فلانا كيفية أي قطعة وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم ، قد تُكَوّف الرمل ..... قد ذهبت جماعة لأنها سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة ... " [21]

---

[19] – ضيف ، شوقي، المدارس النحوية، ص 145 – 146.

[20] – آبادي ، الفيروز، القاموس المحيط ، ج3 ، ص 199 .

[21] – الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج4 ، ص 558 – 559 .

2: نشأة المدرسة الكوفية :

مدرسة الكوفة النحوية حديثة العهد بالنشوء إذا قيست بمدرسة البصرة النحوية ، فقد سبقت البصرة الكوفة بهذه الدراسة التي كانت عملا من الأعمال القرآنية ، ثم أخذت تستقل شيئا فشيئا حتى أصبح موضوع دراستها : الكلام العربي ، سواء أكان قرآنًا أم غير قرآن ، وسواء أكان شعرًا أم نثرًا وظلت البصرة تقوم بعبء هذا العمل زمنًا طويلاً .

وكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تمصيرها ، وكان التجاوب بينهما قائمًا فلم يحدث شيء في البصرة إلاّ وجدت صداه في الكوفة وما عرف شيء في الكوفة إلا رأيت آثاره في البصرة ، وكان الانتقال من مصر إلى مصر ميسرًا للذين يرغبون فيه ، وربما اتخذ الكوفيون المغضوب عليهم من البصرة مستقرًا ، هربًا من السلطان ، واستتارًا من عيونه كما فعل سفيان الثوري وغيره .

وربما اتخذ بصريون من الكوفة مستقرًا ومقامًا أيضًا، لأن الكوفة فضلا عن أنها كانت مركزًا سياسيا للأمصار الشرقية فترة طويلة من الزمن. كانت مركز الفقه والحديث والقراءة ، ورواية الشعر والأدب ، فليس غريبًا إذن أن تنتقل هذه الدراسة من البصرة إلى الكوفة ، إمّا بواسطة الذين شدوا الرحال من الكوفة إلى البصرة طلبا للعلم ، ثم رجعوا إلى الكوفة ، وإما بواسطة الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة .

وكان التنافس بين هذين المصرين شديدًا، والخلاف محتدمًا من عدة نواح، من الناحية الحزبية فالكوفة –كما قلنا – علوية والبصرة عثمانية. ومن الناحية العنصرية ، فأكثر أهل الكوفة من اليمانيين وأكثر أهل البصرة المضريين .

ومن الناحية العلمية ، فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات ، لأنهم أكثر اختلاطًا بالأجانب من أهل الكوفة ، وأكثر حرية في اعتناق المذاهب المختلفة ، وأسرع إلى الأخذ من الثقافات الأجنبية لتوافر مصادرها عندهم ، وكثرة انتقالاتهم للكسب والتجارة . والكوفة مع ضعف الاتصال بين عناصرها العربية وعناصرها الأجنبية أكثر تحرجًا من أهل البصرة في الأخذ بثقافات الأجانب لكثرة من فيها من الصحابة والتابعين ، ومن الفقهاء وأهل الدين.[22]

هذه العوامل أحكمت أسباب الاختلاف والتنافس بين المصرين، فكان من نتائج هذا التنافس أن كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء، حين تجتمع وفودهم في دواوينهم، وكان الخلفاء يستمتعون بهذا النوع من المناظرات ، وربما ظاهروا فريقا على فريق لأسباب تدعوهم إلى ذلك.

وتناولت هذه المناظرات نواحي عدة، ومن بينها الناحية الثقافية ومن هذه الناحية مناظراتهم في النحو. وكان التنافس بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة شديدًا في عهد الكسائي وسيبويه . وربما رجع الدارسون بالتنافس إلى ما قبل عهدهما ، فقد ذكر الأستاذ أحمد أمين : أن الخلاف بدأ هادئا بين الرؤاسي في الكوفة ، والخليل في البصرة ، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة.

غير أننا نرجح أن التنافس بين نحاة البصرة والكوفة لا وجود له في عهد الخليل وأبي جعفرفلم يكن أبو جعفر إلا بصريا كما قيل، أو تعلم على معاهد البصرة ولم يكن بالنحوي الذي تحمله قدماه أمام الخليل.

[22] – المخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، المجمع الثقافي ، دط ، 1423هـ – 2002م ، ص 97 .

وربما كان الزعم القائل بأن لأبي جعفر الرؤاسي كتابا في النحو اطلع الخليل عليه ، وانتفع به هو الذي حمل الأستاذ أحمد أمين – كما حمل غيره – أن يقول بهذا التنافس بين الرجلين .

وأكبر الظن أن تنافس نحاة المصرين إنما ظهر في عهد الكسائي وسيبويه بعد وفاة الخليل وكان هناك من الأسباب ما جعل الكسائي على مخاصمة سيبويه وأقواها خوفه أن يتقرب سيبويه أو غيره من البصريين من السلطان فيفقد الحظوة لديه .[23]

3: خصائص المنهج الكوفي :

منهج الكوفيين هو المنهج الذي سلكه الكسائي وقد ابتنى على أسس بصرية وكوفية . أما الأسس البصرية فهي الخطوط التي تأثر بها الكسائي بدراسته على الخليل وغيره من قدماء البصرة . أما الأسس الكوفية فهي الخطوط التي تأثر بها الكسائي في بيئته العلمية الأولى ، يوم أن كان قارئا معنيا بالرواية والنقل ، شأن القُراء والمحدثين الذين طغى منهجهم على البيئات العلمية في الكوفة .

للكوفيين بوجه خاص عناية فائقة بالشواهد النوادر ، وكان من بين أصحاب الكسائي والفراء وثعلب حفظة لهذه الشواهد .كعلي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي الذي قيل : أنه كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو . أن الكوفيين قبلوا كل ما جاء عن العرب واعتدوا به وجعلوه أصلًا من أصولهم التي يرجعون إليها ويقيسون عليها . ويستوثقون منها حتى تلقفوا الشواهد النادرة وقبلوا الروايات الشاذة . ينقل عن الأندلسي في شرح المفضل قوله : الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلًا وبوبوا عليه

[23] – المرجع السابق ، ص 97 – 99 .

إذن فإن الكوفيين كانوا أقل حرية وأشد احترامًا لما ورد عن العرب ولو موضوعا . فتأثروا بالاتجاه الإخباري ، فعنوا بالأخبار الجزئية في استخراج الأحكام النحوية . [24]

4: أعلام مدرسة الكوفة :

1.4: الكسائي :

أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي ، وهو من أصل فارسي [25] ولد بالكوفة سنة تسع عشرة ومائة للهجرة ، قد سئل عن تلقيبه بالكسائي فقال : لأنني أحرمت في كساء وقيل : لأنه كان يحضر مجلس حمزة بن حبيب الزيّات – مقرئ أهل الكوفة – وعليه كساء أسود ثمين وحدث أن غاب فترة فافتقده أستاذه فقال : ما صنع صاحب الكساء الجيد ؟ فسمي " الكسائي " لذلك .

أكبّ منذ نعومة أظفاره على حلقات القُراء أمثال : سليمان بن أرقم ، راوي قراءة الحسن البصري ، وأبي بكر شعبة بن عياش ، راوي قراءة عاصم بن أبي النجود ، وسفيان بن عينية راوي قراءة عبد الله بن كثير ، ثم لزم حلقة حمزة بن حبيب الزيّات حتى حذق قراءته ، وظل يقرئ الناس قراءة حمزة حتى بعد رحيله إلى بغداد ، ثم اختار لنفسه قراءة صارت بعد ذلك إحدى القراءات السبع المتواترة . [26]

---

[24] – معروف ، محمد، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة ، ص 40 – 41 .

[25] – السامرائي ، إبراهيم عبود ، المفيد في المدارس النحوية ، ص 88 .

[26] – روّاي ، صلاح ، النحو العربي نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله ، دار غريب ، القاهرة ، دط ، 2003 م ، ص 389 .

رأى أنه لن يبرع في قراءة الذكر الحكيم إلا إذا عرف إعرابه ، فاختلف إلى حلقات أبي جعفر الرؤاسي وإلى كتابه الفيصل ولم يجد عنده ما يريد ، فرحل إلى البادية رحلته الأولى ثم عاد إلى الكوفة وكأنه رأى أنه لن يحسن العربية إلا إذا استمع إلى معلميها بالبصرة ، فرحل إليهم ، وأخذ ينتقل بين حلقات عيسى بن عمر المتوفي سنة 149 ه وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب .

وعكف على حلقة الخليل بن أحمد ، ومراعاته لأشعار العرب وأقوالهم ، فسأله يومًا عن ينابيع هذه الرواية فقال له إنها من ملابسة أهل البوادي في نجد والحجاز وتهامة ، فمضى إليهم في رحلة ثانية ، ومعه خمسة عشرة قنينة حبر ، فظل يكتب ما يسمعه من أفواههم ويدونه في صحفه حتى أنفد كل ما حمله من حبر.

2.4: الفراء :

هو يحيى بن زياد بن عبد الله ، من أصل فارسي من الدّيلم ، ولد بالكوفة سنة 144 ه ونشأ على حلقات المحدثين والقُراء أمثال أبي بكر بن عيَّاش وسفيان بن عينية ، واختلف إلى حلقات الفقهاء ورواة الأشعار والأخبار والأيام ، وأكثر من الاختلاف إلى حلقة أبي جعفر الرؤاسي وكأنه [27] لم يجد عنده كل ما يريد من علم العربية ، مما جعله يرحل إلى البصرة ويتتلمذ على يونس بن حبيب ويحمل كثيرًا عنه مما كان يرويه من لغات الأعراب وأشعارهم ونظن ضنًّا أنه اختلف حينئذٍ إلى حلقات المعتزلة التي كانت مهوى قلوب الشباب والمثقفين في البصرة ، وأنه تلقى حينئذٍ مبادئ الاعتزال ، وظل مؤمنا بها حفيًّا ، مما جعل مترجموه يقولون إنه كان متكلمًا يميل إلى الاعتزال ، وآثار

[27] – معروف ، محمد ، إختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة ، ص 43 – 44 .

اعتزاله واضحة في كتابه معاني القرآن إذ نراه فيه يتوقف مرارًا للردّ على الجبرية ، ولعل صلته بالاعتزال والمعتزلة هي التي دفعته إلى قراءة كتب الطب والفلسفة والنجوم ، فقد كان المعتزلة يحرصون على قراءة هذه الكتب حتى ليقول الجاحظ : " لا يكون المتكلم جامعًا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في الوزن الذي يحسن من كلام الفلسفة والعلم عندنا " يريد المعتزلة " هو الذي يجمعهما " . [28]

3.4: ثعلب :

أبو العباس أحمد بن يحي بن يزيد المعروف بثعلب ، كان أبوه من موالى بني شيبان ، ويحتمل أن يكون فارسي الأصل ، ولد ثعلب ببغداد سنة مائتين للهجرة وبها نشأ ، دفع به والده منذ صغره إلى الكُتّاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وأشعار العرب ، وما أن بلغ التاسعة من عمره حتى أخذ يتردد على حلقات العلماء ، فأخذ النحو عن سلمة ، واللغة عن أبي الأعرابي ، وروى كتب أبي زيد عن أبي نجدة ، وكتب أبي عبيدة عن الأثرم وكتب الأصمعي عن أبي نصر ، وكتب أبي عمرو الشيباني عن ابنه عمرو .

وقد استكمل ثعلب ثقافته فدرس القراءات والحديث والتفسير ورواية الأخبار والأشعار مما جعله يشتهر بين علماء عصره بغزارة علمه وسعة حفظه وقوة ذاكرته ، وصار موضع ثقتهم

[28] – المرجع السابق ، ص 44 - 45 .

وإعزازهم وإكبارهم ، حتى إن أبا نصر الطوسى كتب إلى أبي أحمد الحاكم يقول : " شككنا في حرف كذا وكذا ، فصر إلى أبي العباس فاسأله عنه ، فإنه كان أحفظ لما يسمعه منا " [29]

ويقول ابن المَدَوّر : " كنت أرى أبا عبد الله بن الأعرابي يشك في الشيء فيقول : ما عندك يا أبا العباس من هذا ؟ ثقة بغزارة حفظه " .

تصدر ثعلب للتدريس على مذهب الكسائي والفراء في الوقت الذي اشتدت فيه المنافسة بين البصريين والكوفيين ، فكان المبرد على رأس المدرسة البصرية ، وثعلب على رأس المدرسة الكوفية ولكل مجلسه الخاص وطلابه الذين يقصدونه ، ولكن كل من يطلع على مؤلفات ثعلب ومصنفاته يدرك بوضوح تام مدى حرصه على استخدام مصطلحات النحو الكوفي .

والتزم المنهج الذي اختطه الكسائي والفراء قبله ، مما جعله يستحق عن جدارة أن يكون ثالث الثلاثة الذين قامت على جهودهم مدرسة الكوفة النحوية . عمل ثعلب مؤدبا لطاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب شرطة بغداد الذي أغدق عليه الكثير حيث كان يتناول عنده الغداء كل يوم ، حيث يقدم له سبعة أرغفه من الخبز ، وقطعة من السميد وسبعة أرطال من اللحم ، وعلوفة لدابته ، كما أجرى له في الشهر ألف درهم كما اتصل بعد ابن طاهر بالموقف وهو أخو الخليفة المعتمد ، الذي جعل له راتبا يكفل له العيش الرغيد .

[29] – روّاي ، صلاح ، النحو العربي ، نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله ، ص 408 – 409 .

4.4: الرؤاسي :

أبو جعفر محمد بن الحسن ، مولى محمد بن كعب القرطبي ، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه نشأ بالكوفة ، وورد البصرة فأخذ عن عيسى بن عمر ، وأبي عمرو ابن العلاء ، ثم قفل إلى الكوفة حيث اشتغل بالنحو مع عمه معاذ الهراء ، تتلمذ عليه الكسائي والفراء ، ذكر ثعلب أنه صنّف في النحو كتاب " الفيصل " وأنه أول كتاب صنف في نحو الكوفة ، كما ذكر ابن النديم وابن الأنباري أن له كتبا كثيرة منها : الفيصل ، والتصغير ، ومعاني القرآن ، والوقف والابتداء ، ويحكى عن الرؤاسي أنه قال : " أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه ، فقرأه ، ووضع كتابه " كما روي عنه أنه قال " كل ما جاء في " الكتاب " من قوله : ال الكوفي،كان يقصدني " غير أن كتاب سيبويه يخلو تماما من هذه الكلمة . [30]

وواضح أن كل ما أضفى على الرؤاسي من نبوغ وتبحر في النحو ، والتصنيف فيه ، إنما هو من فعل الكوفيين واختلافاتهم ، بدافع العصبية القبلية التي لم يكونوا قد تحرروا منها بعد حيث كان البصريون يرون أنه " مطروح العلم ليس بشيء " ، حتى الكوفيون أنفسهم لم يكونوا يرون فيه النحوي الكفء الذي يحتذى ، توفي الرؤاسي بالكوفة في عهد هارون الرشيد . [31]

---

[30] – المرجع السابق ،387 – 409 .

[31] – المرجع السابق ، ص 388 .

5.4: الهراء :

أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء ، لقب بالهراء لبيعه الثياب الهروية ، مولى محمد بن كعب القرظي أقام بالكوفة ، واشتغل مع ابن أخيه الرؤاسي بالنحو ، عمل مؤدبا لأولاد عبد الملك بن مروان ، لم يوقف له على مصنّف في النحو ، ولم تروله كتب النحو أقوالا أو آراء نحوية .

عمرّ معاذ طويلا ، حيث ولد في عهد عبد الملك بن مروان وعاش إلى أيام البرامكة ، وولد أولاد وأحفاد ، وماتوا كلهم وهو باق ، حيث توفي بالكوفة سنة سبع وثمانين ومائة للهجرة .

وجدير بالذكر أن بعض الباحثين يذهب إلى أن معاذ بصري ، انتقل هو وابن أخيه الرؤاسي إلى الكوفة ، وأذاعا فيها علم البصرة . [32]

6.4: أبو بكر الأنباري :

هو أبو بكر بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، ولد سنة 281 ه ، وأكبّ منذ نشأته على حلقات العلماء في عصره ، وخاصة حلقة ثعلب ، وكانت له حافظة قوية ، حتى قالوا أنه يحفظ كثيرًا من شواهد القرآن، وصنّف كتب كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف والابتداء ، كما صنّف في اللغة والنحو كتاب الأضداد وهو منشور . وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث ، وكتابي الكافي والواضوح في النحو ، ونراه يعنى بتعليم الناشئة صور أساليب العربية في بعض أقاصيص ، كان يرويها ، وضع عدة دواوين قديمة ، في مقدمتها ديوان الأعشى

[32] – روّاي ، صلاح ، النحو العربي ، نشأته ، تطوره ، رجاله ، ص 386 – 387 .

والنابغة وزهير الراعي . ومن أهم آثاره شرحه للمفضليات ،وهو منشور[33] ويكتظ بمعارفه الواسعة اللغة والأشعار وأيام العرب ولم يمتد عمره طويلا . فقد توفي سنة 328 للهجرة . [34]

المطلب الثالث: الخلاف بين المدرستين :

1: أسبابه :

إقليم العراق العربي من أسبق الأقاليم مدينة وعمراناً لخصب تربته ووفرة مياهه واعتدال جوه كما تعاقبت عليه قدماً متحضر الأمم من البابليين والأشوريين والفرس ، كما انحدر إليه العرب من بكر وربيعة وكانت منهم إمارة المناذرة بالحيرة ، ولما أشرقت عليه شمس الإسلام في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنشأ فيه المسلمون البصرة سنة 15 للهجرة ثم الكوفة بعدها بستة أشهر على أصح الروايات ، وسرعان ما ازدهر البلدان وتحولت إليهما حضارة بابل والحيرة وهوت إليهما أفئدة من المسلمين وزخرا بالعلماء والقواد وتقاسما مدينة العراق ، حتى كان إذا قيل العراق فمعناه البصرة والكوفة ، وكانوا يطلقون أحياناً عليهما العراقين .

ومع أن البلدين يضمهما سياج العراق فقد غرست النزعة السياسية بينهما بذرة الضغن لما هبط علي رضي الله عنه الكوفة وإتخذها مقر خلافته وقدمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها البصرة على رأس جيش فيه طلحة والزبير رضي الله عنهم طلباً لثأر عثمان رضي الله عنه ، فكانت موقعة " الجمل " المعروفة بينهما موقعة بين البلدين ، ولعل السر في مجاوزة الإمام علي رضي الله عنه البصرة

---

[33] – معروف ، محمد ، إختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة ، ص 46 .

[34] – المرجع السابق ، ص 46 .

مع أنها على حرف البادية وتكبده مشاق السفر إلى الكوفة مع توغلها في العراق ما عرف عن الكوفة من ميل أهلها إلى الطاعة ديانة دون البصرة التي اشتهر أهلها بالعصيان والشقاق والعصبية ولكثرة اليمنيين بها المخلصين الهاشميين المصدورين من القرشيين ، ومن حين هذه الموقعة[35] اختلف هواهما فالبصرة عثمانية والكوفة علوية ، وازداد هذا الاختلاف بتعاقب الأيام قال أعشى همذان – عبد الرحمن – على لسان الكوفة :

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل

جاءت دولة بني أمية فكان ضلعها مع البصرة التي ظاهرتها وناصرتها ، والكوفة على تبرّم وحنق مستجنين بقلبها بضغط الأمويين عليها ، وفي الدولة قساوة رجالها وصرامتهم ، ثم قامت الدولة العباسية على أنقاضها وكان مبدأ ظهورها في الكوفة ، فإن أبا العباس السفاح أول خلافائها انتمت له البيعة فيها بفضل تشيعها ومظاهرتها للهاشميين ، ولقد حفظ العباسيون لها تلك الصنيعة وعطفوا عليها وكافئوها ، فانقلب الأمر في البلدين ، وعزت الكوفة بعد ذل وأفل نجم البصرة بعد تألق " وتلك الأيام نداولها بين الناس " .

كل ذلك مما أوسع شقة الخلاف بين البلدين حتى تأَلب كل على الآخر وقلب له الظهر المجن وفي كتاب " البلدان " لأبي عبد الله أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه الشيء الكثير مما ترامیا به من الأقوال وتباريا فيه من المفاخرات .

[35] – الطنطاوي ، محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي ، ط1 ، 1968 م ، ص 106 – 107 .

نسوق هذا التعريف متى وكيف ولد سبب الاختلاف الذي جرهما إلى تطاول بعضهما على بعض ، وحبب إليهما إيثار المخالفة في المسائل العلمية على الموافقة فيها ؟ إذ ما بدأت المنافسة العلمية النحوية بينهما إلاّ بعد أن عملت عوامل الخلاف عملها ، ووضعت السدود الحصينة التي تحول دون الوثاق بينهما ، وتسلطت الأثرة عليهما . [36]

2: أصوله :

على الرغم من اتخاذ المعيار الجغرافي أساسا حيث كانت البصرة تقع على مشارف البادية موطن الأساليب الفصيحة واللغة السليمة البعيدة عن كل شوائب اللحن والدخيل حيث كان العلماء يرحلون إلى البادية يلتقون بالعرب الخلّص ويأخذون اللغة عنهم فيستقونها من منابعها الأصلية .

ولما كانت البصرة مرفأ تجاريا للعراق على خليج العرب فقد وفدت إليها عناصر كثيرة حيث ازدهرت التجارة ونشطت الأيدي العاملة لاستغلال الأراضي والقيام ببعض الصناعات ومن هنا فقد التقى في البصرة العرب والفرس والهنود واليونان كما التقت بها النصرانية واليهودية والمجوسية والإسلام كما كانت البصرة موطن الشيعة والمعتزلة الذين أفسحوا المجال أمام الحكمة لكي تؤثر في مذاهبهم الكلامية ، وكان غالبية نحاة البصرة من الشيعة والمعتزلة مما جعل لعلم الكلام تأثيرًا واضحاً في علم النحو حيث التقسيم والتعليل والتأويل والقياس .

أما الكوفة فنظرًا لبعدها عن طريق التجارة ومواطن التلاقي بين الثقافات وطبيعة الحياة العسكرية بها ، فضلا على هجرة الكثير من القُراء والفقهاء إليها وكذلك الشعراء ، حيث أرسل عمر بن

[36] – المرجع السابق ، ص 107 .

الخطاب رضي الله عنه إليها عمار بن ياسر ليكون أميرًا لها وعبد الله بن مسعود ليكون معلما ووزيرًا كما كان بها ثلاثة من القُراء السبعة المشهورين هم : عاصم بن أبي النجود ، وحمزة بن حبيب الزيات وعلي بن حمزة الكسائي ، فقد انشغل أهلها بالقراءات القرآنية ، والحديث النبوي الشريف ، وأصول الفقه ، ودراسات آيات الأحكام إلى جانب رواية الشعر ودراسة الأدب لتجدر فيهم العادات القبلية كالمفاخرات والمنافرات والإشادة بالأصول والأجداد . [37] ففي الوقت الذي كانت فيه البصرة منكبة على دراسة اللغة والنحو كانت الكوفة مشغولة بالدراسات الدينية ورواية الشعر والأدب ، فقد رأينا هنا أن نسجل أهم ما يميز الدرس النحوي البصري عن الكوفي ، مع اعترافنا بأن هذه المميزات ليست قاطعة أو صارمة ويمكن ذكر الأصول فيما يأتي:[38]

أ/ تشدد البصرة في فصاحة العربي الذي تأخذ عنه اللغة والشعر وتساهل الكوفيين حتى إنهم كانوا يأخذون عن الأعراب الذين قطنوا حواضر العراق، مما جعل بعض البصريين يفخر على الكوفيين بقوله : " نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوارير وباعة الكواميخ " .

ب/ توسع الكوفيين في قبول القراءات القرآنية بالنسبة للبصريين . وذلك ليس نتيجة تقديسهم للقراءات وحسن تقبلهم لها ، إنما بسبب ما عرفوا به في توسع في أصول اللغة وقياس على القليل واعتداد بالمثال الواحد .

---

[37] – روّاي ، صلاح، النحو العربي ، ص 85 – 86 .

[38] – عمر ، أحمد مختار ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب للنشر ، القاهرة ، ط6 ، 1988 م ، ص 137 .

ج/ أن البصريين لم يكونوا يكتفون في استخلاص القاعدة بالمثال الواحد أو الأمثلة القليلة " وإنما اشترطوا الكثرة والتداول على ألسنة العرب الفصحاء . ولا يشترطون أي نوع من الكثرة في تقعيد قواعدهم " . ولهذا يقول السيوطي : " لو سمع الكوفيون بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه " ، ويقول : " عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظا في شعر أو نادر الكلام جعلوه بابا أو فصلاً " .

د/ أن التأويل والتقدير كثر عند البصريين بطريقة لافته للنظر ، وذلك تبعا لرفضهم كثيرا من الأمثلة العربية الصحيحة ، ونتيجة لمحاولاتهم المتكررة إخضاع الأمثلة العربية الصحيحة لأقيستهم النظرية للبحث .

هـ/ لما كان الكوفيون أهل شعر ورواية لم يلتفتوا كثيرًا إلى قوانين المنطق والأقيسة العقلية . أما البصريون فقد عوضوا تخلفهم في مجال الشعر والرواية بأن أطلقوا لعقلهم العنان وبرعوا في استخدام المنطق ولجأوا أحيانا إلى النظر المجرد . [39]

[39] – المرجع السابق ، ص 137 - 138 .

الفصل الثاني :

كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ومؤلفه.

المطلب الأول : حياة المؤلف .

المطلب الثاني : حول كتاب الإنصاف.

الفصل الثاني: كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف و مؤلفه:

المطلب الأول: المؤلِّف:

1: اسمه ومولده ونشأته ووفاته :

هو أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله الأنباري الملقب بكمال الدين النحوي المتفنن .[40]

ولد أبو البركات بن الأنباري في ربيع الأول سنة 513 هجري . [41]

ولد أبو البركات بالأنبار ، ولكنه غادرها وهو صبي إلى بغداد طالبا للعلم وسكن بغداد من صباه إلى أن مات ، وتفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه بالمدرسة النظامية .

إذ تبنت هذه المدرسة المذهب الشافعي وكانت تشترطه لطلابها وأساتذتها ، و انتظم بها ، وظل يتلقى العلم على يد أستاذه حتى أصبح معيد بالنظامية وبقي على ذلك حتى صار مدرسا لعلم العربية و تصدر لاقراء النحو بها .

ولقد كانت هذه الفترة أخصب فترات الأنباري ، إذ وضع فيها جل أعماله ومؤلفاته واشتهرت تصانيفه ، وظهرت مؤلفاته ، وتردد الطلبة عليه وأخذوا عنه و استفادوا منه ، وكان نفسه مباركا ما قرأ عليه أحد إلا وتميز ، وتخرج به جماعة ، وأقرأ الناس العلم على طريقة سديدة وسيرة جميلة من الورع

---

[40]– الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ، أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق دط دت ، ص 10 .

[41]– الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق سعيد الأفغاني ، دار الفكر دمشق ، ط1 ، 1377 ه 1957 م ، ص5

والمجاهدة والتقلل والنسك ، وكان بابا مفتوحا لطلاب العلم ولا يرد أحدا وكان قد تفرد بعلم العربية وشدت إليه الرحال .[42]

ثم انقطع في آخر عمره في بيته مشتغلا بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسة أهلها ولم يزل على سيرة حميدة زاهدا عابدا ، ولقد ترك لنا **الأنباري** مؤلفات كثيرة ونافعة انتفع بها تلاميذه . [43]

توفي في ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة 577 ه بعد أن بلغ عمره 64 عاما . [44]

2: أخلاقه ونشاطاته وآثاره :

1.2: أخلاقه :

اشتهر أبو البركات بالورع والزهد والصلاح ، أجمعت كتب الأخبار على هذه الأخلاق ، فقد كان إماما ثقة صدوقا ، فقيها مناظرا غزير العلم ورعا زاهدا عابدا تقيا عفيفا لا يقبل من أحد شيئا و كان زاهدا عابدا مخلصا ناسكا تاركا للدنيا ، وهو الزاهد الورع يكثر من الصوم ويفطر على أي شيء ، كما تخبرنا المصادر أنه كان فقير الحال ، فكان له من أبيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار أجرتهما نصف دينار في الشهر ، يقنع به ويشتري منه ورقا ورويت روايات كثيرة عن تقشفه وفقره فهو خشن العيش والمأكل ، لم يتلبس من الدنيا بشيء ، وكان لا يوقد عليه ضوء وتحته حصير قصب وعليه ثوب وعمامة من قطن يلبسهما يوم الجمعة فكان لا يخرج إلا للجمعة ، و يلبس في بيته ثوبا خلقا .ولكنه على الرغم من فقره عزيز النفس لا يقبل من أحد شيئا سير إليه المستضيء

---

[42] – صالح ، محمد سالم، أصول النحو دراسة في فكر الأنباري ، دار السلام ، ط1 ، 1427 ه – 2006 م، ص 14 – 15 .

[43] – المرجع السابق، ص 15 .

[44] – الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، ص 5 .

بخمسمائة دينار فردها فقالوا : اجعلها لولدك فقال : إن كنت خلقته فأنا أرزقه . وهناك أخبار أيضا تدل على ميله للمذهب الصوفي ومشاركته للمتصوفين في حلقاتهم فقد كان يعقد مجلس الوعظ وكان ممن قعد في الخلوة عند الشيخ أبي النجيب ، وقال تلميذه الموفق عبد اللطيف البغدادي : "لم أر في العباد المنقطعين أقرأ منه في طريقه ولا أصدق منه في أسلوبه جد محض لا يعتريه تصنع ولا يعرف السرور ولا أحوال العالم" وله شعر حسن كثير أوردت بعضه كتب التراجم .[45]

2.2: رحلاته:

تكاد تجمع المصادر – التي ترجمت لابن الأنباري – على أنه كان لا يغادر بيته ، و يشتغل بالعلم والعبادة ، وكان طلابه يترددون عليه ، وينهلون من علمه ، غير أن ابن الزبير في صلة الصلة يقص علينا أنه زار الأندلس[46]

3.2: مؤلفاته :

انقطع ابن الأنباري للإقراء و التأليف معظم سنين حياته ، وقد ذكروا أن له مئة وثلاثين مصنفا في اللغة والأصول ، والزهد ، وأكثرها في فنون العربية ، وقد استطعنا أن نجمع من أسمائها ما شارف الثمانين ، معتمدين على مصادر جديدة .[47]

---

[45] – صالح ، محمد سالم ، أصول النحو دراسة في فكر الأنباري ، ص 15 – 16 .

[46] – الأنباري ، أبي البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، تحقيق د: جودة مبروك محمد مبروك ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط1،دت ، ص10 .

[47] – الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، ص12 – 13 .

1.3.2: مؤلفاته الدينية :

أ/ مؤلفاته في الفقه : ومنها هداية الذاهب في معرفة المذاهب ، وبداية الهداية .

ب/ مؤلفاته في علم الكلام : أي أصول الدين ، ومنها الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام والنور اللائح في اعتقاد السلف الصالح ، ومنثور العقود في تجريد الحدود واللباب .

ج/ مؤلفاته في الخلاف الفقهي : وفيها عرض الخلاف بين المذاهب الفقهية منها : التنقيح في مسائل الترجيح بين الشافعي وأبي حنيفة ، والجمل في علم الجدل ، والاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار ، وعدة السؤال في عمدة السؤال .

د/ مؤلفاته في التصوف والزهد : مثل كتاب أصول الفصول في التصوف .

ه/ مؤلفاته في الوعظ : ومنها نكت المجالس في الوعظ ، ونقد الوقت ، وبغية الوارد ، والتغريد في كلمة التوحيد .

2.3.2: مؤلفاته في العربية والأدب :

أ/ مؤلفاته في اللغة : وهي كثيرة منها : الأسمى في شرح الأسما ، وحلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود ، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ، وقبسة الأديب في أسماء الذيب ، الفائق في أسماء المائق ، وعمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء .

ب/ مؤلفاته في الأدب : ومنها تفسير غريب المقامات الحريرية ، وشرح ديوان **المتنبي** وشرح الحماسة والمرتجل في شرح السبع الطوال ، والإشارة في شرح المقصور ، وشرح بانت سعاد .

ج/ مؤلفاته في النحو : وفيها تعرض **الأنباري** لمعظم موضوعات النحو في شتى ميادينه ، ومنها : الإغراب في جدل الإعراب ، والإنصاف في مسائل الخلاف ، وأسرار العربية وجزء من لمع الأدلة ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، وعقود الإعراب ، وحواشي الإيضاح ، ومنثور الفوائد ، ومفتاح المذاكرة ، وكتاب كلا وكلتا ، وكتاب لو ، وكتاب ما ، وكتاب كيف ، وكتاب الألف واللام ، وكتاب حلية العربية ، وشفاء السائل إلى بيان رتبة الفاعل ، والمعتبر في الوصف بين الوصف والخبر ، ورتبة الإنسانية في المسائل الخرسانية ، وميزان العربية

د/ مؤلفاته في الصرف : ومن أشهرها كتاب الوجيز في علم الصرف[48].

ه/ مؤلفاته في العروض : مثل المقبوض في علم العروض ، وبسط المقبوض في علم العروض ، والموجز في القوافي .

و/ مؤلفاته في البلاغة والبديع : مثل اللمعة في صناعة الشعر .

3.3.2: مؤلفاته في التاريخ والسير :

وأشهرها نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، والجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة ، وتاريخ الأنبار .

[48] – البع ، محمد رمضان ، المسائل الصوتية في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري ، م18 ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، غزة فلسطين ، دط ، 2010 م ، ص 247 .

4.3.2: مؤلفاته في علم الرؤيا :

ومنها كتاب نسمة العبير في التعبير.[49]

5.3.2:ومنها مؤلفات أخرى ذكرت في الإغراب منها :

– أخف الأوزان

– الأضداد

–جلاء الأوهام وجلاء الأفهام في متعلق الظرف في **قوله تعالى:**

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾[50]

– الجمل في علم الجدل

– فعلت و أفعلت

– الواسط ، وغيرها من المؤلفات الأخرى .[51]

---

[49] – المرجع السابق ، ص 947 – 948 .

[50] – سورة البقرة ، الآية : 187 .

[51] – الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، ص 13 – 14

4.2: اشتغاله بالتدريس والتأليف :

عمل ابن الأنباري بعد تخرجه بالمدرسة النظامية معيدا بها ، وعلى ما يبدو أنه كان يقوم بتدريس فقه المذهب الشافعي ، حتى عمل بتدريس اللغة العربية ثم استقال من وظيفته ، وانقطع في بيته للتأليف والإقراء والعبادة . [52]

3: مكانته العلمية وآراء العلماء فيه :

1.3: مكانته العلمية :

إن الفنون التي أبدع فيها أبو البركات بن الأنباري في علم العربية تعود إلى نشأته وتكوينه ، فقد لزم ثلاثة من علماء عصره ، كان لهم كبير الأثر في بناء عقله وشخصيته ، على نحو ما يلقانا في ترجمته فابن الرزاز الذي كان أستاذا للفقه الشافعي ، وكان ملما بالفقه وأصوله ، تتلمذ له ، حتى حصل طرفا صالحا من الخلاف وكذا الجواليقي الذي أخذ عنه الأدب واللغة ، وكذا ابن الشجري الذي أخذ عنه النحو ، وصار من المشايخ المشار إليهم في النحو .

كما كان انتقاله من الأنبار التي سمع فيها من أبيه إلى بغداد التي سمع فيها من عبد الوهاب الأنماطى ما جعله يعايش مناخا جديدا من العلم ، خاصة أن بغداد في هذا الوقت كانت من العواصم الإسلامية ، التي تزدهر فيها الحضارة .

[52] – الأنباري ، أبي البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص9 .

وإذا ما استعرضنا مؤلفاته سنجدها في جملتها تحمل فكرا نحويا جديدا في ساحة علوم العربية لم يسبق إليها ، وتخالف ما كان مشهورا في وقته من شروح للمطولات النحوية القديمة فكتبه تتناول أبوابا من النحو ، يبدو عليها جانب التخصص والإيجاز ، كأنها رسائل نحو : مسألة دخول الشرط على الشرط – تتصرف لو – كتاب كلا وكلتا – كتاب كيف – كتاب الألف واللام – شفاء السائل في بيان رتبة الفاعل – البيان في جمع أفعل أخف الأوزان – المرتجل في إبطال تعريف الجمل – جلاء الأوهام وجلاء الأفهام في متعلق الظرف في **قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾**– زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء – البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث – فعلت وأفعلت .

وكان لإلمامه بعلم الفقه أثر كبير وراء إبداعه النحوي واللغوي ، تمثل ذلك في الخلاف الذي أخذه عن شيخه ابن الرزاز المشار إليه آنفا ، فاصطبغت مؤلفاته بهذه الصبغة ، فصارت تحلق بجانب التفكير والجدل ، نحو : الإغراب في جدل الإعراب – الداعي إلى الإسلام في علم الكلام – منثور العقود في تجريد الحدود – الاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار – نجدة السؤال في عمدة السؤال – لمع الأدلة .

هذه العقلية الجدلية مكنت أبا البركات الأنباري من أن يقف بصدد علوم ثلاثة ، لم يسبقه أحد إليها كما سبق أن ذكرت في المقدمة ، وهذه العلوم هي :

1– علم الخلاف ، الذي وضع له " كتاب الإنصاف ".

2– علم الجدل ، وقد وضع له كتابه " الإغراب في جدل الإعراب " .

3– علم أصول النحو،على نسق علم أصول الفقه ، وقد وضع له كتاب " لمع الأدلة " .[53]

2.3: آراء العلماء فيه :

لا نكاد نقف على ترجمة أبي البركات حتى نرى ثناء جميلا عليه ، ووصفا لخلقه وعلمه وزهده وورعه و عن قصد الطلاب له ، وإفادتهم منه ، فتصب بعض تلك المصادر بأنه :

– كان إماما ثقة صدوقا غزير العلم، ورعا زاهدا تقيا عفيفا، لا يقبل من أحد شيئا، وكان خشن العيش خشن الملبس، لم يلتبس من الدنيا بشيء.[54]

– وهو عند صاحب طبقات الشافعية ، يذكر قدوم الطلاب عليه : صاحب التصانيف المفيدة وله الورع المتين والصلاح والزهد ... صار شيخ العراق في الأدب من غير مدافع ، ولي التدريس فيه ببغداد ، والرحلة إليه من سائر الأقطار ...

– قال الموفق عبد اللطيف: لم أجد في العباد والمنقطعين أقوى منه في طريقه، ولا أصدق منه في أسلوبه، جد محض لا يعتريه تضع، ولا يعرف السرور، ولا أحوال العالم.

– ويصف ابن كثير زهده وورعه ودينه قائلا عنه إنه : الفقيه العابد الزاهد كان خشن العيش ، ولا يقبل من أحد شيئا ، ولا من الخليفة .

– وكان يصفه صاحب شذرات الذهب بأنه كان : زاهدا عابدا مخلصا ناسكا تاركا للدنيا

---

[53] – جودت مبروك ، محمد ، الدرس النحوي عند ابن الأنباري ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، دط ، 1423 هـ – 2002 م ، ص 15 – 18 .

[54] – الأنباري ، أبي البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 12 .

– ويصف صاحب وفيات الأعيان علمه ، فيقول : من الأئمة المشار إليهم في علم النحو ويذكر اشتغاله بالتدريس فيقول : فقد اشتغل عليه خلق كثير ، وصاروا علماء ... وكتبه كلها نافعة ، وكان نفسه مباركا ، ما أقرأ عليه أحد إلا تميز .

– وكذا يقول ابن الأثير : وله من تصانيف حسنة في النحو ، وكان فقيها صالحا .

– وفي البغية أنه : النحوي المفنن الزاهد الورع .

– أما القفطي فيذكره بأنه : الشيخ الصالح ، صاحب التصانيف الحسنة المفيدة في النحو وغيره وكان فاضلا عالما زاهدا .[55]

– يقول الأستاذ سعيد الأفغاني : هذه أولية تاريخية في فنون ثلاثة في العربية ، لا ينازع ابن الأنباري فيها منازع ، بل لم ينسج بعده على منواله أحد نعلمه مدة أربعمائة سنة ، حتى جاء السيوطي فألف كتابه " الإقتراح في علم أصول النحو " .[56]

4: شيوخه وتلاميذه :

1.4: شيوخه :

لم يكن بالعالم أن يرتقي درجات العلم والتفنن فيه والمهر به ما لم يلازمه أئمته ورواياته من العلماء الذين تتفتق على أيديهم عقول الطلاب ليسيروا على نهجهم من بعدهم ويحملوا شموع العلم ليضيئوها في سماء الناس من بعد ، فكان الأنباري ممن علم قيمة العلماء فلزمهم وأخذ عنهم . تعلم

[55]– المرجع السابق ، ص 12 .

[56]– جودت مبروك ، محمد ، الدرس النحوي عند إبن الأنباري ، ص 18 .

الأنباري الفقه على يد شيخه سعيد بن الرزاز حتى برع ، ثم قرأ الأدب على يد أبي منصور الجواليقي ولازم أبا السعادات ابن الشجري حتى برع ، وأخذ الحديث عن أبي نصر أحمد بن نظام الملك ، وأبي البركات الأنطماطي ، وابن خيرون ، وأخذ أيضا عن خليفة المؤدب [57]

كما تذكر المصادر – التي ترجمت لأبي البركات بن الأنباري – عددا كبيرا من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، ويبدو أن أباه كان أول أولئك فقد سمع عنه بالأنبار ، وهذه قائمة بأسماء هؤلاء :

– أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ النحوي (541) .

– أبو بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري .

– محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري ، أبو أبي البركات صاحبنا .

– أبو بكر محمد بن القاسم السهروردي .

– محمد بن محمد بن محمد بن عطاف الموصلي .

– أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي .[58]

[57]– البع ، محمد رمضان ، المسائل الصوتية في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري ، ص945 .

[58]– جودت مبروك ، محمد ، الدرس النحوي عند الأنباري ، ص 20 .

2.4: تلاميذه :

اشتهر الأنباري بعلمه وورعه وزهده ، فلزمه كثيرا من طلاب العلم ينهلون من معينه العذب وهم كثر وقد استفادوا منه وبرعوا حتى أصبحوا علماء ، منهم عبد الغفار الأعلمي ، والجمال محمد بن أبي الفتح العتابي النحوي ، وأبو بكر الحازمي الهمذاني ، وأبو الحسن الحلي المقرئ وعبد الإله بن أحمد الخباز ، وخزعل بن عسكر بن خليل المصري ، وأبو الحسن الخطيبي وأبو الخير النحوي ، وابن الدبيثي بن يحي الواسطي الشافعي ، وابن الدهان ، وابن دواس القنا الشاعر المعروف ، وابن الراجح المقدسي الحنبلي ، وعلي السنجاري ، والعنبري ، والفخر الموصلي ، وأبو الفضل المظفر ، والقيلوي والماكسيني ، وأبو محمد بن أبي البركات الأنباري – ابنه .. [59]

[59]– البع ، محمد رمضان، المسائل الصوتية في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري ، ص 945 – 946 .

المطلب الثاني : وصف كتاب الإنصاف :

1: تعريف الكتاب :

" الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين " يدور حول العلاقة بين الفقه والنحو ، ويعد الإنصاف أكثر شمولية وإحاطة بمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين من المؤلفات الأخر ، ويمتاز بخصائص عديدة منها ، أنه جعل علم النحو علما عقليا كالفلسفة والمنطق ذا أسلوب فريد من نوعه ، سلسا في عرضه للمسائل النحوية .

والكتاب يدلل على سعة ثقافة مؤلفه ، وخاصة عند الاحتجاج والمجادلة العقلية ، مما يؤكد عند متابعة مسائله تعلقه بعلم الكلم والمنطق . فكان كتاب الإنصاف مرجعا مهما ومفيدا لدارسي النحو وقد اشتهر بين طلاب العلم في العصور المختلفة بما امتاز به من سهولة الأسلوب وحسن الشرح والتوضيح والتدعيم بالأمثلة .

2: سبب تأليفه :

ألف الأنباري كتابه ليجمع فيه المسائل الخلافية بين نحاة البصرة والكوفة ، وقد ذكر سبب تأليفه في مقدمته تلبية لطلب المتأدبين عنده ، فاسمع إليه يقول : فإن الجماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين ، المشتغلين بعلم العربية ، وبالمدرسة النظامية ... سألوني أن ألخص لهم كتابا لطيفا ويشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة ، ويقول في ترتيبه لكتابه أنه

رتبه على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ، ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب [60]

3: أهميته :

تتضح قيمة كتاب " الإنصاف " في عرضه لجانب مهم من الآراء النحوية لنحاة البصرة والكوفة و لبعض من نحاة المدرسة البغدادية ، مثل ابن السراج وأبي علي الفارسي ،وغيرهما ، ممن كانوا أميل إلى المذهب البصري ، كما أورد قسطا طيبا من الشواهد الشعرية ، ليست في كتب النحو العربي الأخرى كما كان له إهتمام بالمصطلح النحوي عند المدرستين ، فعرض لشيء من الأصول النحوية لهما .

وقد حظى كتاب الإنصاف بقيمة كبيرة في تراثنا النحوي ، فلا نكاد نقف على مؤلف إلا وقد كان الإنصاف مرجعا يعول عليه [61]

4: منهجه :

اعتمد ابن الأنباري في الإنصاف المنهج التالي كما يذكر في مقدمته :

أ/ الدقة والثبوت حيث يقول :" وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق ".

ب/ الموضوعية في الحكم والرأي ، فيقول : " واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف ، لا التعصب والإسراف " .

---

60 – المرجع السابق ، ص 949 .

61 – الأنباري ، أبي البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 04 – 05 .

ج/ ثم إنه بعد عرضه المسألة يقدم رأي الكوفة باعتماد أدلة العقل والمنطق لا النقد ، ثم يليه البصرة ثم يفسر رأي كل فريق.

د/ ثم يناقش الآراء المذكورة ويرد عليها معتمدًا على :

– رد الشواهد ، وتفنيدها إما لكونها مجهولة ، وإما لأنها شاذة لا يقاس عليها .[62]

– أو توجيه الشواهد توجيها آخر يختلف عن التوجيه الذي اختاره أصحاب المذهب الذين يرد عليهم .

– ثم يرد على الحجج العقلية والقياسية التي استدلّ بها الكوفيون معتمدًا على حجج البصريين وردودهم الواردة في كتبهم كالمبرد والسيرافي .

هـ/ ثم يرجح الرأي الذي يميل إليه وهو أحد ثلاثة :

– مذهب البصريين ، فإن تعددت آراؤهم اختار أحدها وردّ الباقي .

– مذهب الكوفيين ، وقد أيّدهم في سبع مسائل .

– مذهب خاص به ، وقد فعل ذلك في مسألتين ، الخامسة ، والرابعة والثمانين ولم يحد على هذا التقسيم إلا في المسألة الثالثة والسبعين ، إذ ذكر الخلاف مفصلاً ثم ردّ على الكوفيين .

و/ وغالبا ما يعرض الخلاف بإيراد المذهبين مجملاً .

---

[62] – البابلي ، باسم عبد الرحمن صالح، ما فات كتب الخلاف من مسائل الخلاف في همع الهوامع (دراسة تحليلية) ، إشراف محمود محمد العامودي الجامعة الإسلامية ، غزة ، دط ، 1429 هـ – 2008 م ، ص 98 – 99

ز/ وفي عرضه للخلاف يذكر من يؤيد إحدى المدرستين من رجال المدرسة الأخرى .

ح/ وعادة يبدأ ذكر احتجاج الكوفيين بقوله : " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا ... " .

ط/ ولم يستخدم أبو البركات ألفاظ الكوفيين وتعبيراتهم ، وأغفل ذكر كثير من أدلتهم النقلية حيث اعتمد على كتب البصريين التي تعرضت للخلاف دون كتب الكوفيين .[63]

5: وصفه العام :

يعد حجم الكتاب من أضخم الكتب حجما تقريبا ، يحتوي الكتاب على كم هائل من الصفحات عددها 730 صفحة ، وتندرج فيه 121 مسألة خلافية .

يحتوي الكتاب على مقدمة قيمة وعرض وهو صلب الموضوع الذي يتحدث فيه عن المسائل الخلافية في النحو .

يحتوي كتاب الإنصاف على ثلاثة أقسام رئيسية :

– يتمحور القسم الأول حول دراسة عامة **للأنباري** ، اندرجت ضمنه عدة مطالب تحدث المطلب الأول حول حياته (اسمه – لقبه – كنيته – مولده – طرف من حياته – نشأته – اشتغاله بالتدريس والتأليف – أخلاقه – رحلاته – وفاته) . كما عرض لنا في هذا الكتاب مكانته العلمية وآراء العلماء فيه في المطلب الذي يليه ، بالإضافة إلى ذكر مقتطفات من أشعاره في المطلب الثالث ، و ذكر شيوخه وتلاميذه في المطلب الأخير ، وفي المطلب الرابع والأخير ضم فيه مجموعة من

[63] – المرجع السابق ، ص 99 .

مؤلفاته وتحدث فيه بالتفصيل حول مصادره وموقفه من النحاة ومنهجه في هذا الكتاب ، وطريقة استنباطه للشواهد القرآنية والحديث النبوي الشريف ، وبعض أشعار العرب ، كما لم يهمل الأمثال والأقوال العربية . وذكر أخيرا بعض آرائه النحوية وكيفية دراستها وذكر بعض المآخذ عليه .

– أما القسم الثاني اندرجت تحته ثلاثة مطالب ، تمثل الأول في عمل المحقق في تحقيق المخطوطات والثاني في طبعات الكتاب والملاحظات عليها والثالث وصف لمخطوطات الكتاب .

– أما القسم الثالث فقد ذكر فيه المسائل النحوية المختلف فيها بين مدرستي البصرة والكوفة وقد تنوعت بين النحو والصرف ، فقد عمل على ذكر المسائل النحوية حسب رأي البصرة والكوفة ، وعلّل بالحجج والبراهين التي أقرتها كل مدرسة مع ذكر رأيه في المسألة ونقد الرأيين نقدًا علميا ، وقدم لهم الحجج والبراهين من نصوص الاحتجاج – القرآن الكريم صحيح الحديث ، كلام أقحاح العرب – يضم الكتاب العديد من الفهارس الفنية منها : القرآنية وفهرس الحديث النبوي الشريف ، والأمثال والشعر ، وفهرس الأعلام ، وفهرس المراجع ، والموضوعات المدرسة .

6: بعض الآراء فيه :

– يقول جودة مبروك محمد في مقدمة كتاب الإنصاف لأبي البركات بن الأنباري عن الكتاب : " وقد حظي كتاب الإنصاف بقيمة كبيرة في تراثنا النحوي ، فلا نكاد نقف على مؤلف إلا وقد كان الإنصاف مرجعا يعول عليه ، غير أني نظرت في نشرات الكتاب السابقة ، فلم أجد حسب

ظني أنها تتيح للقارئ والمحقق بغية من هذا الكتاب القيم ، سواء في ضبط نصه ، أو توثيق آرائه .... "[64]

– يقول محمد محي الدين عبد الحميد في مقدمة كتاب الإنصاف للأنباري ومعه الإنتصاف من الإنصاف : " يجيء في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين الذي صنفه الإمام الحجة والعالم الثبت ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن سعيد الأنباري ليشبع نهمة دراسي النحو ، ويسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية ، ويظهر كدرة متلألأة في التراث النحوي والصرفي والعربي ، ويجمع مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة ..." [65]

7: نماذج من محتواه :

أ/ مسألة : القول في تقديم معمول خبر " ما " النافية عليها .

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز " طعامك ما زيد آكلاً "، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز وذهب أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب من الكوفيين إلى أنّه جائز من وجهٍ فاسدٌ من وجهِ ، فإن كانت " **ما** " ردًا لخبر كانت بمنزلة " **لم** " ، ولا يجوز التقديم ، كما تقول لمن قال [في الخبر] : " زيدٌ آكل طعامَكَ " فترد عليه نافيا : " ما زيدٌ آكلاً طعامكَ " فمن هذا الوجه يجوز التقديم فتقول : " طعامَكَ ما زيدٌ آكلاً "، فإن كانت جواباً لقسم ، إذا قال "واللّهِ ما زيدٌ بآكلٍ طعامَكَ" كانت بمنزلة اللامِ في جواب القسم ، فلا يجوز التقديم .

---

[64]– الأنباري ، أبي البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص05 .

[65]– الأنباري ، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن ابن محمد بن أبي سعيد ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 04 .

أما الكوفيُّون فاحتجُوا بأن قالوا : إنما جوّزنا ذلك لأن " **ما** " بمنزلة " **لم** و**لن** و**لا** " لأنها نافية [كما أنها نافية]، وهذه الأحرفُ يجوز تقديمُ معمولِ ما بعدها عليها ، نحو " زيدًا لم أضربْ وعمرًا لن أُكرمَ ، وبشرًا لا أُخْرِجُ " ، فإذا جاز التقديم مع هذه الأحرف ، فكذلك مع " **ما** " .

وأما البصريون فاحتُّجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز ذلك لأن " **ما** " معناها النفي ويليها الاسم والفعل ، فأشبهتِ حروفَ الاستفهام ، وحرف الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله فكذلك هاهنا " **ما** " لا يعمل ما بعدها فيما قبلها .

وأمّا الجوابُ عن كلمات الكوفيين ، أما قولهم : إن " **ما** " بمنزلة : " **لم ولن ولا** " فلا نسلّم لأن " **ما** " يليها الاسمُ والفعلْ ، وأما " **لم ولن** " فلا يليها إلا الفعل ، فصارا بمنزلة بعضِ الفعل بخلاف " **ما** " فإنها يليها الاسم والفعل ، وأما " **لا** " فإنما جاز التقديم معها ، وإن كانت يليها الاسم والفعل ولأنها حرفٌ متصرفٌ ، يعمل ما قبله فيما بعده ، ألا ترى أنك تقول " **جئتُ بلا شيء** " فيعمل ما بعده فيما قبله ، فبان الفرق بينهما .

وأمّا ما ذكره أبو العباس ثعلب من التفصيلِ ، مِنْ أنه إذا كانت إذا كانت ردًا لخبرِ جاز التقَديمُ وإن كانتْ جوابًا للقسمِ لم يَجُزْ ، ففاسِدٌ ، لأن " **ما** " في كلا القسمين نافيةٌ ،فينبغي أنْ لا يجوزُ التقديمُ فيهما جميعًا ، لما بيّنَّا . والله أعلم .[66]

[66]– الأنباري ، أبي البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 149 – 150 .

ب/ مسألة : ثالث عشر ثلاثة عشر .

ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز أن يقال : " ثالثَ عشرَ ثلاثةَ عشرَ " ، وذهب البصريون إلى أنه يجوز أن يقال : " ثالثَ عشرَ ثلاثةَ عشرَ " .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : أجمعنا على أنه لا يمكن أن يبنى من لفظ " ثلاثةَ عشرَ " فاعل وإنما يمكن أن يبنى من لفظ أحدهما ، وهو العدد الأول ، الذي هو الثلاثة ، ولا يمكن أن يبنى من لفظ العدد الثاني – وهو العشر – فذكر العشر مع " ثالث " لا وجه له .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأنّ الأصل أن يقال : " **ثالثَ عشرَ ثلاثةَ عشرَ** " وقد جاء ذلك عن العرب ، فإذا ساعده النقل والقياس **– وهو الأصل –** وجب أن يكون جائزًا .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم " إنه لا يمكن أن يبنى منهما فاعل ، وإنما يمكن أن يبنى من أحدهما " [قلنا : هذا هو الحجة عليكم ، فإنه لما لم يمكن أن يبنى منهما ، ويبنى من أحدهما] ، احتيجَ إلى ذكر الآخر ، ليتميز ما هو واحد ثلاثة مما هو واحد ثلاثة عشر ، فأتى باللفظ كلِّه . والله أعلم .[67]

[67] – المرجع السابق ، ص 150 - 247 .

ج/ مسألة : الأفعال المضارعة لما أعربت ؟ .

أجمع الكوفيون والبصريون على أن الأفعال المضارعة معربة ، واختلفوا في علة إعرابها ، فذهب الكوفيون إلى أنها إنما أعربت ، لأنه دخلها المعاني المختلفة والأوقات الطويلة ، وذهب البصريون إلى أنها أعربت بثلاثة أوجه :

أحدهما : أن الفعل المضارع يكون شائعا ، فيتخصص كما أن الاسم يكون شائعا ، فيتخصص ، ألا ترى أنك تقول : " يذهبُ " فيصلح للحال والاستقبال ، فإذا قلت : " سوفَ يذهبُ " اختص بالاستقبال ، فاختص بعد شياعه ، كما [أن الاسم يختص بعد الشياع] . كما تقول (رجل) [فيصلح لجميع الرجال] ، فإذا قلت الرجل اختص بعد شياعه ، فلما هذا الفعل بعد شياعه ، كما أن الاسم يختص بعد شياعه ، فقد شابهه من هذا الوجه .

والوجه الثاني : أنه تدخل عليه لام الابتداء ، تقول : " إن زيدًا لَيقومُ "كما تقول " إنَّ زيدًا لقائمٌ " فلما دخلت عليه لام الابتداء ، كما تدخل على الاسم ، دلّ على المشابهة بينهما [ألا ترى أنه لا يجوز أن تدخل هذه اللام على الماضي ، ولا على فعل الأمر ، ألا ترى أنك لا تقول : " إنَّ زيدًا لقائمٌ " ولا " إنَّ زيدًا لا ضرب عمرًا " وما أشبه ذلك ؛ لعدم المشابهة بينهما] وبين الاسم.

والوجه الثالث : أنه يجرى على اسم الفاعل في حركته وسكونه ، [ألا ترى أن قولك " يضربُ " على وزن " ضارب " في حركته وسكونه] ، فلما أشبه هذا الفعل الاسم من هذه الأوجه وجب أن يكون الفعل معربًا ، كما أن الاسم معربٌ .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم " إنما أعربت لأنها دخلها المعاني المختلفة والأوقات الطويلة " قلنا : قولكم يدخلها المعاني المختلفة يبطل بالحروف ؛ فإنها تدخلها المعاني المختلفة ، ألا ترى أن " **ألا** " تصلح للاستفهام والعرض والتمني ، و" **مِنْ** " تجيء لمعان مختلفة ؛ من ابتداء الغاية والتبعيض والتبيين والزيادة للتوكيد ، إلى غير ذلك من الحروف ولا خلاف بين النحويين أنه يعرب منها شيء ، وقولكم " والأوقات الطويلة " يبطل بالفعل الماضي ؛ فإنه كان ينبغي أن يكون معربًا لأنه أطول من المستقبل ؛ لأن المستقبل يصير ماضيًا ، والماضي لا يصير مستقبلا ، فإذا كان الماضي الذي هو الأطول مبنيًا ، فكيف يجوز أن يكون المستقبل الذي هو دونه معربًا ؟ فلو كان طول الزمان يوجب الإعراب لوجب أن يكون الماضي معربا، فلما لم يعرب دلَّ على أن هذا تعليل ليس عليه تعويل، والله أعلم .[68]

إن المستعرض لكتب أبي البركات يجد أن كثيرا منها جديد في ساحة العلوم العربية ، فهي تخالف ما كان مشورًا من شروح للمطولات النحوية القديمة ، فتميل إلى دراسة النقطة البحثية لا تتعداها ، ولا تتجاوزها ، كما يظهر تأثر أبي البركات بالفقه الذي سيطر على جل إبداعاته فيدور في فلك التفكير النحوي ، وتتحول اللغة عنده إلى فكر دون أن تكون بعيدة عن المتلقي ، كما تميزت كتبه بالاختصار وعدم الاستطراد ، ونراه ملتزما بموضوعه ولا يخرج عنه .

[68] – الأنباري ، أبي البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 434 – 436 .

فكتاب الانصاف مثلا يطرح جمعًا طيبا من الجديد ، الذي لم يصل إليه أحد من نحاة العربية فكرة الكتاب في ذاتها تعد جديدًا في النحو العربي . كما يمتاز أبو البركات بن الأنباري بتواضعٍ جم عندما يذكر عن هذا الكتاب ، أنه ملخص وأنه كتاب تعليمي ألَّفه لحاجة الطلاب إليه .

الفصل الثالث :

كتاب السنة الثانية ثانوي أدبي ومقرر النحو فيه.

المطلب الأول : وصف الكتاب .

المطلب الثاني : مقرر النحو .

الفصل الثالث : كتاب السنة ثانية ثانوي أدبي ومقرر النحو فيه :

المطلب الأول : وصف الكتاب :

1: وصف خارجي :

اسمه : الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة .

اسم المشرف والمؤلفين والمصممين : أنجز هذا الكتاب تحت إشراف الأستاذ الخاص بالتعليم الثانوي أبو بكر الصادق سعد الله .

و**المؤلفين** : – كمال خلفي " خاص بالتعليم الثانوي " .

– مصطفى هواري " خاص بالتعليم الثانوي " .

– أبو بكر الصادق سعد الله .

وقد **صمّم وركب** من طرف السيدة بوبكري نوال ، أما بالنسبة **لتصميم الغلاف** فقد قام به السيد بغداد توفيق .

يعد كتاب السنة ثانية ثانوي أدبي من الكتب التي يعتمد عليها التلميذ في مساره الدراسي ويجعله منارًا لِخُطِيّ دربه إلى الأفضل ،يعتبر حجم هذا الكتاب من الكتب ذات الحجم المتوسط (23,5 سم × 16,5 سم) ويحتوي على 224 صفحة .

غلف الكتاب تغليفا جيدا ، أما من ناحية الكتابات الظاهرة على واجهته فقد كتبت الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ووزارة التربية الوطنية وعنون باسمه الكامل " **الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة** " كما ذكر المستوى التعليمي له وإلى أي شعبة يدرس هذا الكتاب

2: المحتوى :

يحتوي الكتاب على مجموعة من المواضيع والنماذج المفيدة يضم الكتاب لمحة تاريخية حول العصر العباسي وبلاد الأندلس والمغرب لأن نصوصه ستكون من هذا العصر الأدبي .

كما يدرس النصوص الأدبية وفق المنهاج المتبع لهذا الكتاب ، ويدرس قواعد اللغة بنحوها وصرفها ويشرح فيها القواعد التي تهم الطالب كما يحتوي هذا الأخير على تدريس العروض ومصطلحاته العروضية وكيفية معرفة وزنها وبحرها وتفعيلاتها وكل ما يتعلق بها ، كما ناقش النقد الأدبي بكل موضوعية ودقة ، وعالج أيضا المطالعة الموجهة ودراسة نصوصها وشرحها وكيفية التأقلم معها ، ودرس أيضًا النصوص التواصلية للنص الأدبي ويكون الموضوعان مرتبطان ببعضها من حيث السبك والحبك ، ولم يهمل أيضًا الجانب البلاغي الذي بحث فيه عن أسرار اللغة العربية وخباياها ومعرفة كيفية استنباط مقاصدها ، كما يقوم بين الحين والآخر على ما يسمى بإنجاز الدرس وذلك بقيام التلميذ على مناقشة معطيات النص واكتشافها واستثمارها ، ويحتوي الكتاب أيضًا على مشاريع قيمة تعوّد الطالب على إنجازها لتطوير معرفته الذاتية والعقلية ، كما يدعوا إلى مثال تطبيقي في بناء الوضعية المستهدفة للنصوص المقروءة وتوظيف أبرز ما قرءت فيها .

3: نماذج من المحتوى :

أ/ النص الأدبي : مقتطف من النص الأدبي : الدعوة إلى الجديد والسخرية من القديم .

عاجَ الَّشقيُّ على رسْمٍ يُسَائِلهُ وعُجْتُ أسْالُ عن خمّارة البلدِ

يبْكِي على طلَلِ الماضِين من أسدٍ لا دَرّ درُّك قُلْ لي : من بنُو أسدِ

ومن تَميمٌ ومن قيسٌ ولفّهُما ليْسَ ألاعاريبُ عند اللهِ مِنْ أحدٍ [69]

لا جفّ دْمعُ الذي يبْكي على حَجرٍ ولا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصْبُو إلى وتَدٍ

كم بيْن ناعِتِ خْمرٍ في دساكِرِها وبين باكٍ على نُؤْي ومُنْتَضِدِ

ب/ قواعد اللغة : الاختصاص .

تأمل قول الشاعر :

نحن. جيش التحرير. جندُ النضال نحن أسد الفِدا نُمورُ النِّزَال

– ما وظيفة لفظة " جيش " في البيت ؟

– من المقصود ب " نحن "

– ما سبب نصب لفظة " جيش "

[69] – أبو بكر الصادق ، سعد الله ، الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، ت: مجموعة كمال خلفي ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر ، دط ، 2007 م – 2008 م ، ص 32

– ما تقدير العامل ؟

– بم يسمى الأسلوب ؟ وما عناصره ؟

– أبني أحكام القاعدة :

الاختصاص : هو نصب الاسم بفعل محذوف وجوبا تقديره " أخص أو أعني " ويتكون أسلوب الاختصاص من عنصرين أساسين هما :

* **الضمير** : ولا يكون إلا ضمير متكلم أو مخاطب .

* **المخصوص** : وهو اسم واجب النصب على المفعولية ، ويشترط فيه أن يكون مُعرفا بالألف واللام أو مضاف إلى معرفة ، أو يكون لفظ أيها أو أيتها منعوتين بما فيه الألف واللام ، ولا يكون الاسم المخصوص نكرة ولا اسم اشارة ولا اسم موصول .[70]

ج/ البلاغة : أغراض الخبر والإنشاء .

تأمل قول الشاعر :

لا تستقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

– أكتشف أحكام القاعدة :

– ما مضمون هذا الخبر ؟

[70] – المرجع السابق ، ص 64 - 65 .

– هل أفاد السامع ؟

– كيف يسمى هذا الحكم ؟

– ما نوع أسلوب البيت ؟ حدد صيغته ؟

– أستنتج أحكام القاعدة :

* **الأسلوب الخبري** : الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين .

– إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى هذا الحكم " فائدة الخبر " .

– إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى " لازم الفائدة " .

يخرج الخبر إلى أغراض بلاغية أخرى تستفاد من سياق الكلام منها : التحسر والفخر والحث والاسترحام والاستعطاف وإظهار الضعف ....

*** الأسلوب الإنشائي :**

وله صيغ كثيرة منها : الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني والتعجب والعرض والتحضيض . وأفعال المدح والذم . وله أغراض حقيقية ، ويخرج إلى الأغراض المجازية . [71]

د/ العروض : بحر الرمل .

إنّني مزقت أكفان الدّجى إنّني هدمت جدران الوهن

[71]– المرجع السابق ، ص 64 – 65 .

– استنتج :

* **بحر الرمل** من البحور البسيطة يتكون من تفعيلة واحدة سباعية هي " **فاعلاتن** " تتكرر ست مرات في البيت .

* **الوزن النظري :**

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

* **التغيرات :**

الزحاف : فاعلاتن – فاعلاتن .

العلة : فاعلاتن – فاعلان " فعِلان " .

– فاعلن " فعلن " .

* **حكمه** : يرد الرمل تامًا ومجزوءًا ويمكن أن يستعمل منهوكا .

* **مفتاحه** : رمل الأبحر ترويه الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلات . [72]

[72]– المرجع السابق ، ص 175 – 176 .

المطلب الثاني : مقررّ النحو :

1: منهجية الكتاب في عرض النشاطات :

أنجز هذا الكتاب وفقا لتوصيات منهاج اللغة العربية وآدابها للسنة ثانية ثانوي شعبة الآداب والفلسفة وشعبة اللغات الأجنبية ، ويسعى المنهاج إلى تعميق معارف المتعلم في النصوص ذات النمط الوصفي والسردي والحجاجي الذي يستمر تناوله في بناء شخصية المتعلم الفكرية ، ولتأصيل خصائص هذه الأنماط في كتابات التلاميذ وتفكيرهم ثمَّ تناول النص من المبدأ الذي تقوم عليه المقاربة بالكفاءات التي تحرص على ما هو أنفع وأفيد للمتعلم ، وتجاوز مفاهيم التعليم التقليدية . ويعد نشاط القواعد والصرف والبلاغة والعروض روافد لفهم النص إذ يتم تناولها انطلاقا مما يتوافر عليه النص ، أما النص التواصلي فيدعم الظاهرة التي تناولها الأدبي وقد قام هذا الأخير على مجموعة من الخطوات تضبط دراسته وتستخرج كنوزه وتكشف عن خفاياه منها :

– تكليف التلاميذ بإعداد الدرس مسبقا.

– **أتعرف على صاحب النص** :كلمة موجزة عن حياة الأديب وعصره فيما له علاقة بالنص .

– **تقديم موضوع النص** : ويتم ذلك بقراءته قراءة سليمة مع مراعاة جودة النطق وحسن الأداء وتمثيل المعنى .

– **أثري رصيدي اللغوي** : يجتهد الأستاذ في تعيين المفردات والتراكيب اللغوية الجديرة بالشرح بذكر معنى أو معاني الكلمة أو اشتقاقاتها .

– **أكتشف معطيات النص** : يعتمد الأستاذ على طائفة من الأسئلة تمكن التلميذ من فهم النص [73].

– **مناقشة معطيات النص** : بعد فهم النص يوجه الأستاذ أنظار التلاميذ إلى المناقشة التذويقية سواء تعلق الأمر بالمعاني والأفكار أمّ الأسلوب .

– **بناء النص** : يتم تحديد نمط النص واكتشاف خصائصه .

– **أتفحص الاتساق والانسجام** : النص منتوج مترابط في أفكاره متوافق في معانيه ومنسجم ، ويظهر ذلك في طريقة عرض الأفكار وعلاقتها بالموضوع من جهة وعلاقتها فيما بينها من جهة أخرى .

– **أجمل القول في تقدير النص** : وفي ختام الدرس يتوصل الأستاذ بالتلاميذ إلى تلخيص أبرز الخصائص الفنية والفكرية للنص .

يتضمن " **الجديد في الآداب والنصوص والمطالعة الموجهة** " برنامج شعبتي الآداب والفلسفة واللغات الأجنبية . وتشترك الشعبتان في النشاطات التالية :

النص الأدبي والنص التواصلي والبلاغة والنقد . وتختلفان في القواعد والمطالعة ويتمثل الاختلاف في نشاط المطالعة في عدد الموضوعات المقررة فهي ستة لشعبة الآداب والفلسفة وأثنا عشر موضوعا لشعبة اللغات الأجنبية .

[73] – المرجع السابق ، 03 - 04 .

يدرس الكتاب المدرسي الجانب النحوي بشكل دقيق ، حيث يقوم الكتاب بتحضير القاعدة من النص الأدبي أو التواصلي ، ثم يناقشها ويحللها في إطار الدرس النحوي بإتيان الأمثلة وهذه الأخيرة يستخرج منها القاعدة وييسرها لفهم التلميذ لتطوير معرفته في قواعد اللغة العربية ، كما نوع في طرحه للمسائل النحوية واقتطف من كل قاعدة نحوية مسألة تدور حول هاته القاعدة كما أنها تخدم الموضوع الذي طرح في الكتاب .

وقد وضعت الدروس في إطار تحت عنوان " **أنجز الدرس** " فتركنا إنجازها للأستاذ والتلميذ والهدف منه تدريب المتعلم على البحث والاستنتاج وجمع المعلومات من مصادر مختلفة . [74]

2: المواضيع المقررة في قواعد النحو :

يضمّ كتاب السنة ثانية أربعة وعشرين موضوعًا في النحو العربي وهي من خلال عناوينها :

1	البناء والإعراب في الأسماء
2	البناء والإعراب في الأفعال
3	التعجب
4	النسبة
5	أفعال المدح والذم

[74] – المرجع السابق ، ص 04 -05.

6	الاختصاص
7	الإغراء والتحذير
8	أحرف التنبيه والاستفتاح
9	مواضع كسر همزة أنّ
10	التوكيد
11	مواضع فتح همزة أنّ
12	الأحرف المشبه بليس
13	الاستغاثة والندبة
14	الترخيم
15	المصدر وأنواعه
16	أوزان المصدر الأصلي مصادر الأفعال الثلاثية
17	مصادر الماضي غير الثلاثي
18	المصدر الدال على المرة والهيئة
19	الاشتغال
20	التنازع

21	مواضع وجوب اقتران الخبر بالفاء
22	خصائص كان وليس
23	أحرف العرض والتحضيض
24	الإعلال والإبدال

بعد دراستنا واطلاعنا حول المواضيع التي تناولها كتاب اللغة العربية للسنة الثانية ثانوي أدبي وجدنا تسلسل وترابطًا بين المواضيع المدروسة بين النص الأدبي وهذا الأخير يدرس من منطلق كونه نصا احتماليا ، متعددا مفتوحا على قراءات متنوعة تسهم في إغنائه وإثرائه ، إضافة إلى النص التواصلي فهو يدعم الظاهرة التي تناولها النص الأدبي ، وذلك تماشيا مع الأسلوب الذي تبناه منهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي في تناول النصوص الأدبية ، ويعد نشاط القواعد والصرف والبلاغة والعروض روافد لفهم النص إذ يتم تناولها انطلاقا مما يتوافر عليه النص ، حيث رأينا المؤلفون قد طافوا وتعمقوا في الدروس الأدبية للاستنباط الأحكام والقواعد النحوية .

وقد درس الكتاب في وضع بعض الدروس في إطار تحت عنوان " **أنجز الدرس** " فتُرك إنجازها للأستاذ والتلميذ لهدف تدريب المتعلم على البحث والاستنتاج والادراك وجمع المعلومات من مصادر مختلفة .

الفصل الرابع :

المسائل الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة في المدونة .

المطلب الأول : المسائل المختلف فيها .

المطلب الثاني : نتائج الدراسة .

الفصل الرابع : دراسة المسائل الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة في المدونة :

المطلب الأول : عرض ومناقشة المسائل المختلف فيها :

بعد طوافنا بين طّيات الكتاب المدرسي للسنة الثانية ثانوي أدبي ومقرر النحو فيه ، قمنا بانتقاء المواضيع المختلف فيها من خلال كتاب الإنصاف ، فتحصلنا على ثلاث مسائل فقط وهي:

– **صيغة التعجب** : فعل أم اسم .

– **أفعال المدح والذم** : اسمين أم فعلين .

– **خصائص ليس** : جواز تقديم خبرها عليها أو عدم تأخيره عليها .

ومن هنا بدأنا الدراسة التطبيقية لهاته المسائل النحوية ، واستنباط أحكامها من كتاب الإنصاف

1: المسألة الأولى : التعجب :

1.1: في الكتاب المدرسي :

التعجب انفعال يحدث في النفس عندما ننبهر من شيء نجهل حقيقته وله صيغ كثيرة سمعية وصيغة قياسية وهي : أفعل به

أ/ أفعل به : جملة فعلية مثل قول الشاعر :

أَكْرِمْ بقَومٍ رسولُ اللهِ قائدُهم إذا تفرقتِ الأهواءُ والشّيَعُ

– الإعراب : أكرم : فعل ماضٍ جاء على صيغة الأمر لإنشاء التعجب .

ب : حرف جر زائد .

قومٍ : اسم مجرور لفظًا مرفوع محلاً على أنه فاعل . [75]

2.1: رأي مدرسة البصرة : [76]

ذهب البصريون إلى أن " **أَفْعَلَ** " فعل ماضٍ ، وإليه ذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي من الكوفيون :

واحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه فعل أنه إذا وصل بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية نحو " ما أَحْسَنَنِي عِنْدَكَ ، وَمَا أَظْرَفَنِي في عَيْنِكَ ، وَمَا أَعْلَمني في ظَنِّكَ " ، ونون الوقاية إنما تدخل على الفعل لا على الاسم ، ألا ترى أنك تقول في الفعل : " أَرْشَدَنِي ، أَسْعَدَنِي ، أَبْعَدَنِي " ، ولا تقول في الاسم : " مرشِدِني " ولا " مسعدِني " وأما قوله : فليس حاملني إلا ابن حمَّال فمن الشاذ الذي لا يلتفت إليه ولا يقاس عليه ، وإنما دخلت هذه النون على الفعل لتقي آخره من الكسر ، لأن ياء المتكلّم لا يكون ما قبلها إلا مكسورًا ، وإذا كانوا قد منعوه من كسرة الإعراب لثقلها ، وهي غير لازمة ، فلأن يمنعوه من كسرة البناء ، وهي لازمة كان ذلك من طريق الأولى ، فلما منعوه من الكسر أدخلوا هذه النون ، لتكون الكسرة عليها ، فلو لم يكن " **أفعلَ** " في التعجب فعلا وإلا لما دخلت عليه نون الوقاية ، كدخولها على سائر الأفعال .

---

[75] – الجديد في الأدب والنصوص ، ص 35 .

[76] – نقلا عن : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 107 .

اعترض البصريون على هذا بأن قالوا : نون الوقاية قد دخلت على الاسم في نحو : " قَدْنِي وقَطْنِي " أي : حسبي ، قال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قدني مهلا رويدًا قد ملأت بطني

ولا يدل ذلك على الفعلية ، فكذلك هاهنا .

3.1: رأي مدرسة الكوفة : [77]

ذهب الكوفيون إلى أن " **أَفْعَلَ** " في التعجب ، نحو " ما أحسَنَ زيدًا " اسم .

واحتجوا بأن قالوا الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرّف ، ولو كان فعلاً لوجب أن يتصرف لأن التصرّف من خصائص الأفعال ، فلما لم يتصرف ، وكان جامدًا ، وجب أن يلحق بالأسماء . ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه اسم أنه يدخله التصغير ، والتصغير من خصائص الأسماء ، قال الشاعر :

ياما أميلحَ عزلانا شدنَّ لنا من هؤليائكنّ الضالِ والسُّمِر

ف " **أُمَيْلِحَ** " تصغير " **أَمْلَحَ** " ، وقد جاء ذلك كثيرًا في الشعر وسعة الكلام .

قالوا : ولا يجوز أن يُقال : " إن فعل التعجب لزم طريقة واحدة ،وضارع الاسمَ ، فلحقه التصغير " لأنا نقول : هذا ينتقض بليس وعسى ، فإنهما لزما طريقة واحدة ، ومع هذا لا يجوز تصغيرهما

[77] – نقلا عن : المرجع السابق ، ص 105 – 106 .

وأبلغ من هذا النقض وأوكد مثال " **أفعل به** " في التعجب فإنه فعل لزم طريقة واحدة ، ومع هذا فإنه لا يجوز تصغيره .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه اسم أنه تصح عينه نحو " ما أَقْوَمَهُ " و " ما أَبْيَعَهُ " كما تصح العين في الاسم في نحو " هذا أقْومُ مِنْكَ ، وأَبْيَعُ مِنْكَ " ، ولو أنه فعل كما زعمتم لوجب أن تُعَلَّ عينه بقلبها ألفًا ، كما قلبت من الفعل في نحو : قَامَ ، بَاعَ [وأَقَامَ ، وأَبَاعَ] في قولهم : " أَبَعْتُ الشيءَ " إذا عرّضته للبيع ، وإذا كان قد أُجرِى مجرى الأسماء في التصحيح مع ما دخله من الجمود والتصغير وجب أن يكون اسما .

والذي يدل على أنّه ليس بفعل وأنه ليس التقدير فيه : شيء أحسن زيدًا قولهم : " ما أعظمَ الله " ، [ولو كان التقدير فيه ما زعمتم لوجب أن يكون التقدير : شيء أعظمَ الله] والله تعالى عظيم لا بجعل جاعل ، وقال الشاعر :

ما أقدرَ الله أن يدنيَ على شحطٍ من دَارُهُ الحزنُ ممَّن دارُه صول

ولو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يكون التقدير فيه : شيءٌ أقدرَ الله ، والله تعالى قادر لا بجعل جاعل .

4.1: مناقشة المسألة بين الفريقين ورأي الأنباري فيها : [78]

وما اعترض فيه البصريون ليس بصحيح ؛ لأن " قَدْنِي وقَطني " من الشاذ الذي لا يعرج عليه فهو في الشذوذ بمنزلة " منِّي وعنِّي " ، وإنما حَسُنَ دخول هذه النون على " قد وقط " لأنك تقول " قَدْكَ من كذا " و " قَطْكَ من كذا " أي اكتفِ به ، فتأمر بهما كما تأمر بالفعل ؛ فلذلك حَسُنَ دخول هذه النون عليهما ، على أنهم قالوا " قَدى وقَطى " من غير نون ، كما قالوا :" قَطْنِي وقَدْنِي " بالنون قال الشاعر :

قَدْنِي من نصر الخُبَيْبَيْنِ قَدي ليس الإمام بالشحيح الملحد

ولا خلاف أنه لا يجوز أن يقال : " ما أكرمني " ، كما يقال : " قَدني وقَدِى " فلما لم يجز ذلك بان الفرق بينهما .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أن " **أفعل** " في التعجب فعل أنه ينصب المعارف والنكرات "**وأَفْعَلَ**" إذا كان اسما لا ينصب إلا النكرات خاصة على التمييز ، نحو قولك : "زيدٌ أكبرُ منكَ سنًّا وأكثرُ منكَ علمًا" ، ولو قلت : "زيدًا أكبرُ منك السن ، أو أكثرُ منك العلم" لم يجز ، ولما جاز أن يقال : ما أكبرَ منك السنَّ له وما أكثر العلمَ لهُ ، دلَّ على أنه فعل .

اعترضوا على هذا بأن قالوا : قد ادّعيتم أنّ "**أفعَل**" إذا كان اسما لا ينصب إلا النكرات وقد وجدنا العرب قد أعملته في المعرفة ، قال الحارث بن ظالم :

---

[78] – نقلا عن : الرجع السابق ، ص 106 – 107 .

فما قومي بثعلبة بن بكر ولا بفزارة الشُعْرَ الرّقَابَا

فنصب "الرقابا" بالشعر ، هو جمع "أَشْعَر" ، ولا خلاف أن الجمع من باب العمل أضعف من واحده ؛ لأن الجمع يُباعده عن مشابهة الفعل ؛ [لأنَّ الفعل لا يُجْمَعُ ، وإذا بعد عن مشابهة الفعل] بعد عن العمل ، وإذا عمل جمع " **أَفْعَل**" مع بعده عن العمل ، فالواحد أولى أن يعمل ، وقال الآخر

[النابغة الذبياني] : ونأخذ بعده بذنابِ عيشٍ أجبَّ الظهرَ ليس له سَنامُ

فنصب "الظهرَ" ب "أجبَّ" ، وقال الآخر :

ولقد أغْتَدِي وما صفَّعَ الدِّيكُ على أَدْهَمٍ أجشَّ الصَّهيلاَ

فنصب "الصهيل" ب "أجشَّ" فبطل ما ادعيتموه .

وما اعترضوا عليه ليس بصحيح . أما بيت الحارث بن ظالم : ولا بفزارةَ الشُعرِ الرِّقابَا

فقد رُوي "الشُعر رقابَا" حكى ذلك سيبويه ، عن أبي الخطاب عن بعض العرب أنهم ينشدون البيت كذلك ، على أنا وإن لم ننكر صحة ما رويتموه فلا حجة لكم فيه ؛ لأن من باب "الحَسَن الوَجْهَ والحسان الوُجُوهَ" وقد قالوا "الحسن الوجهَ" بنصب الوجه ؛ تشبيهًا بالضارب الرجلَ ، كما قالوا "الضارب الرجلِ" وقد ذهب بعض البصريين إلى زيادة الألف واللام فيه ، فلما كان في تقدير التنكير جاز نصبه على التمييز ، فبان أن ما عارضتم به ليس بشيء .

وأما قول النابغة : أجبَّ الظهرَ بفتحهما ، فقد رُوِيَ "أجبِّ الظهرِ" بجرهما ، وروي "أجبَّ الظهرُ" برفع الظهر ؛ لأنه فاعل ، والتقدير فيه عندنا : أجبَّ الظهرُ منهُ ، والجرّ فيهما هو القياس ، وإن صحة رواية النصب يكون على التشبيه بالمفعول على ما بيَّنا في البيت الأول ، لا على تقدير زيادة الألف واللام ، ونصبه على التمييز على ما ذهبتم إليه ، ولئن سلَّمنا على قول البصريين ، وهو الجواب عن جميع ما احتججتم به ؛ لأنكم إذا قدرتم أنّ الألف واللام فيه زائدة ، فهو عندكم نكرة فإذن ما عمل في معرفة وإنما عمل في نكرة ، والخلاف ما وقع في أنّ "**أفعل**" تعمل في النكرة ، وإنما وقع الخلاف في أنها تعمل في المعرفة . وأما قول الآخر: أجشَّ الصهيلا

فالوجه جرّ "الصهيلا" ،إلا أنه نصبه على التشبيه بالمفعول ، أو على زيادة الألف واللام على ما قدمنا .

ثم لو سلمنا لكم صحة ما ادعيتموه في هذه الأبيات ، وأجريناها في ذلك مُجْرَى "ما أحسنَ الرجلَ" ، فهل يمكنكم أن توجدونا " **أَفْعَلَ**" وصفاً نصب اسمًا مضمرًا ، أو علمًا أو اسمًا من أسماء الإشارة ؟ وإذا لم يمكن ذلك وجدنا "**أفعَلَ**" في التعجب تعمل في جميع أنواع المعارف النَّصب دلَّ على بطلان ما ذهبتم إليه في دعوى الاسمية .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه فعل ماض أنّا وجدناه مفتوح الآخر ، ولولا أنه فعل ماض لم يكن لبنائه على الفتح وجهٌ ؛ لأنه لو كان اسمًا لارتفعَ ؛ لكونه خبرًا ل " **ما** " على كلا المذهبين ؛ فلما لزم الفتح آخره دلّ على أنه فعلٌ ماضٍ .

اعترضوا على هذا من وجهين ؛ أحدهما : أنهم قالوا : ما احتججتم به من فتح آخره ليس فيه حجة ؛ لأن التعجب أصله الاستفهام ، ففتحوا آخر " **أَفْعَلَ** " في التعجب

[ونصبوا زيدًا ؛ فرقًا] بين الاستفهام والتعجّب .

والوجه الثاني : [أنهم قالوا : إنما فتحَ آخر " **أفعلَ** " في التعجب] لأنه مبني ، لتضمنه معنى حرف التعجّب ؛ لأن التعجب كان يجب أن يكون له حرف كغيره من الاستفهام والشرط والنفي والنهي والتمني والترجّي والتعريف والنداء والعطف والتشبيه والاستثناء ، إلى غير ذلك ، إلا أنه لما لم ينطقوا بحرف التعجب وضمنوا معناه هذا الكلام استحق البناءَ ، ونظير هذا أسماء الإشارة ، فإنها بنيت لتضمنها معنى حرف الإشارة ، وإن لو ينطقوا به ، فكذلك هاهنا .

وما اعترضوا به ليس بصحيح ، أما قولهم : " إنّ التعجب أصله الاستفهام ، ففتحوا آخر" **أفعلَ** " في التعجب ؛ فرقا بين الاستفهام والتعجب " فمجرّد دعوى لا يقوم عليها دليل ، إلا بوحي وتنزيل ، وليس إلى ذلك سبيل مع أنه ظاهر الفساد والتعليل لأن التفريق بين المعاني لا تُوجِبُ إزالة الاعراب عن وجهه في موضع ما ، فكذلك هاهنا ؛ ولأن التعجب إخبار يحتمل الصدق والكذب ، والاستفهام لا يحتمل الصدق والكذب ، فلا يصحُّ أن يكون أصلاً له .

وأما قولهم : " إنه بُنِيَ ؛ لتضمنه معنى حرف التعجب ، وإن لم ينطق به " فكذلك نقول : كان يجب أن يوضع له حرف ، كما وضع لغيره من المعاني ، ولكن لما لم يفعلوا ذلك ضمَّنوا " **ما** " معنى حرفِه ، فَبَنَوْهَا ، كما ضمَّنوا " **ما** " الاستفهامية معنى الهمزةِ ، وضمّنوا " **ما** " الشرطية معنى " **إنْ** " التي وضعت للشرط ، وبَنُوهما ، وإن لم يكن للكلمة التي بعدهما تعلّق بالبناء ، فكذلك يكون ما

بعد " ما " التعجبية ، لا يكون له تعلق بالبناء فبان بذلك فاسد اعتراضهم ، وأنه إنما فُتِحَ لأنه فعل ماضٍ على ما بينا .

وأما الجوابُ عن كلمات الكوفيين : أما قولهم : " الدليل على أنّه اسم أنّه لا يتصرّف " قلنا : عدم تصرّفه لا يدلّ على أنه اسم أجمعنا على أن " ليس و عسى " فعلان ومع هذا فإنهما لا يتصرفان وإنما لم يتصرف فعل التعجب لوجهين ، أحدهما : أنهم لما لم يضعوا للتعجبِ حرفًا يدل عليه جعلوا له صيغة لا تختلف ، لتكون أمارة للمعنى الذي أراده ،وأنه مضمَّن معنى ليس في أصله.والثاني : – وهو الصحيح – أنه لم يتصرف ؛ لأن المضارع يحتمل زمانين الحال والاستقبال ، والتعجب إنما يكون مما هو موجود مشاهد ، وقد يُتعجب من الماضي ، ولا يكون التعجب مما لم يقع ، فكرهوا أن يستعملوا لفظًا يحتمل الاستقبال ؛ لئلا يصير اليقين شكًا ، وأما قولهم " ما أُمَيْلِح ما يخرج هذا الغلام ، وما أصولَ ما يكون هذا " فلا يقال ذلك حتى يرى فيه مَخيلَةُ ذلك ، فذلك ما رأيت في وقتك على ما يكون بعد ذلك ، فكأنَّك قد شاهدته موجودًا ، ولما كرهوا استعمال المضارع كانوا لاستعمال اسم الفاعل أكرهَ ؛ لأنه لا يخصُّ زمانًا بعينه ، فلهذا منعوه من التصرّفِ ، وعدم التصرف لا يدلّ على أنه اسم ، كما قلنا في " ليسَ وعسىَ "

وأما قولهم " إنه يُصغَّرُ ، والتصغير من خصائص الأسماء " ، فنقول الجواب [عن هذا] من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أنّ التصغير في هذا الفعل ليس على حدّ التصغير في الأسماء ، فإنّ التصغير على اختلاف ضروبه ، من التحقير كقولك : رُجَيْل ، والتقليل ، كقولك : دريهمات ، والتقريب كقولك : قُبَيْلَ

المغرب ، والتعطف ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " أُصَيْحَابِي أُصَيْحَابِي " والتعظيم كقول الشاعر :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخُلُ بينهم دُوَيْهِيَةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

يريد الموتَ ، ولا داهية أعظم من الموت ، التمدح كقول الحباب بن المنذر يوم السقيفة :

" أنا جذيلها المحكَّك ، وعُذَيقها المرجَّب " ، وأما هاهنا فإنه يتناول الاسم لفظًا لا معنىً من حيث كان متوجّها إلى المصدر ، وإنما رفضوا ذكر المصدر هاهنا ؛ لأن الفعل إذا أزِيلَ عن التصرّف لا يؤَكَّدُ بذكر المصدر ؛ لأنه خرج عن مذهب الأفعال ، فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغَّروا الفعل لفظًا ووجهّوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله ؛لأن الفعل يقوم في الذكر مقام مصدره ، لأنه يدل عليه بلفظه ، ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله ، وإن لم يجز [له ذكر] قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسِبَنَّ الذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيرًا لَّهُم ﴾ [79] قوله " هو " ضمير للبخل ، وإن لم يكن مذكورًا ؛ لدلاته " يبخلون " عليه ، ومنه قولهم " من كَذِب كان شرًا له " أي كان الكذب شرًا له ، ومنه قول الشاعر :

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وخَالَفَ والسَّفِيهُ إِلَى خِلاَفِ

يريد جرى إلى السَّفَهِ ، وهذا كثير في كلامهم ، فكما أنه يجوز أن يعود الضمير إلى المصدر ، وإن لم يجرِ له ذكرٌ استغناءَ بفعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره ، وإن لم يجرِ له ذكرٌ ؛ ونظير هذا إضافتهم أسماء الزمان إلى الفعل ، نحو قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ

[79] – سورة آل عمران ، الآية : 180 .

الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [80] وإن كانت الإضافة إلى الأفعال غير جائزة ، وإنما جاز ذلك لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره ، من حيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ، فالتقدير فيه : هذا يومُ نَفْعِ الصادقين صدقُهم ، وإنما خصوا أسماء الزمان بهذه الإضافة لما بين الزمان والفعل من المناسبة

من حيث اتفقا من كونهما غرضين ، وأن الزمان حركاتُ الفلكِ ،كما أن الفعل حركته الفاعل وكما أنَّ هذه الإضافة لفظية ، فكذلك هذا التصغير اللاحق فعل التعجب لفظي ، وكما أن هذه الإضافة لا اعتداد بها ، فكذلك هذا التصغير لا اعتداد به .

والوجه الثاني : أنّه إنما دخله التصغير حملا على باب " **أفعل** " الذي للمفاضلة ؛ لاشتراك اللفظين في التفضيل والمبالغة ،ألا ترى أنك تقول :"ما أحسنَ زيدًا " لمن بلغ الغاية في الحسن ، كما تقول :" زيدٌ أحسَنُ القومِ " فتجمع بينه وبينهم في أصل الحسن وتفضله عليهم ؛ فلوجود هذه المشابهة بينهما جاز "ما أُحَيْسِنَ زيدًا " و ما أُمَيْلِحَ غِزْلَانًا

كما تقول :" غِلمانُكَ أُحَيْسِنُ الغلمَانِ ، وغزلانك أُمَيْلِحُ الغزلانِ " ولهذه المشابهة حملوا " أفعل منك وهو أفعل القوم " على قولهم " ما أفعلَه " فجاز فيهما مجاز فيه وامتنع منهما ما امتنع منه ، ألا ترى أنك لا تقول " هو أَعْرَجُ مِنْكَ ، وأعرجُ القومِ " لأنك لا تقول : " ما أعْرجَهُ " ، وتقول " هو أقبحُ مِنْكَ عرجًا " و " هو أقبحُ القوم عرجًا " كما تقول :" ما أقبحَ عرجَهُ " وكذلك لا تقولُ " هو أحسنُ منك حُسْنًا " ، فتؤكده بذكر المصدر ؛ لأنك لا تقول :" ما أحسنَ زيدًا حُسنًا " فأما قولهم : " ألجُ لِحَاجة من الخُنفساء " ، وما أشبهه فمنصوب على التمييز .

[80] – سورة المائدة ، الآية : 119 .

الوجه الثالث : أنه إنما دخله التصغير لأنه أُلزِم طريقة واحدة ، فأشبه بذلك الأسماء ، فدخله بعض أحكامها ، وحُمِلُ الشيء على الشيء في بعض أحكامه لا يخرجهُ عن أصله ، ألا ترى أنّ اسم الفاعل محمولٌ على الفعل في العمل ، ولم يخرج بذلك عن كونه اسما ، وكذلك الفعل المضارع محمول على الاسم في الاعراب ولم يخرج بذلك عن كونه فعلاً ؛ [فكذلك تصغيرهم فعل التعجب تشبيهًا بالاسم لا يُخرجه عن كونه فعلاً] ، وأما ما ذكروهُ من " ليس وعسى " فالكلام عليه أربعة أوجه :

أحدهما : أن " ليس وعسى" وإن كانا قد أشبها فعل التعجب في سلب التصرف فإنهما قد فارقاه من وجهين ، أحدهما : أنهما يَرْفَعَانِ الظاهر والمضمر ، كما ترفعهما الأفعال المتصرفة فبعدا عن شبه الاسم ، وأفعل التعجب إنما يرفع المضمر دون الظاهر ، فقرب من الاسم الجامد ؛ فلهذا دخله التصغير دونهما .

والثاني : أن " ليس وعسى " وُصلا بضمائر المتكلمين والمخاطبين والغائبين نحو لستُ ، ولستمُ وليسُوا ، وعسيتُ ، وعسيتم ، وعسوا ، كما تتصل بالأفعال المتصرفة ، و" **أفعل**" في التعجب لزم ضمير الغيبية لا غير ، فلما تصرّف " ليس وعسى " في الاتصال بضمائر الأفعال الماضية هذا التصرف ، وأُلزِم هذا الفعل في الإضمار وجها واحدًا جاز أن يدخله التصغير دونهما .

والثالث :أن " ليس وعسى " لا مصدر لهما من لفظهما فتنزل اللفظ بهما منزلة اللفظ به ، والتصغيرُ هاهنا في الحقيقة للمصدر ، فلمّا لم يكن لهما مصدر من لفظهما بطل تصغيرهما بخلاف فعل التعجب ، فإنّ له مصدرًا من لفظه نحو الحُسنُ والمِلاحة ، وإن لم يكن جاريا عليه على ما يقتضيه القياس ، فقام تصغيرهُ مقام تصغير مصدره ، فبان الفرق بينهما .

والوجه الرابع : أن " ليس وعسى " لا نظير لهما من الأسماء ، يحملان عليه كما حملا " ما أَفْعَلَهُ " على " أَفْعَل" الذي للمفاضلة فيحملُ "ما أَحْسنَهم " على قولهم " هو أحسنُهم " فبان الفرق بينهما فإن قالوا : هذا يبطلُ ب " نعم وبئس " فإنهما للمبالغة في المدح والذم كما أن التعجب موضوع للمبالغة وإنهما لا يتصرفان ، ومع هذا فلا يجوز تصغيرهما .

قلنا :هذا الإلزامُ على مذهبكم أَلْزَمَ ؛لأنهما عندكم اسمان كأفعل في التعجب ، فهلا جاز فيهما التصغير كما جاز فيه ؟ فإن قُلْتُمْ " فإن ذلك لم يُسمع من العرب " قلنا :كما قلتم ، ثم فرقنا بينهما وذلك أنهما وإن كانا لا يتصرفان فهما أشبه منه بالأفعال المتصرّفة وذلك من ثلاثة أوجه .

أحدهما اتصال الضمير بهما على حده اتصاله بالفعل المتصرّف ، نحو قولهم " نِعْمَ رَجُلَيْنِ ونِعْمُوا رِجَالاً " .

والثاني :اتصال [الضمير بهما على حد اتصالهِ] بتاء التأنيث الساكنة بهما ، نحو " نِعْمَتِ المرأةُ وبِئْسَتِ الجارية " .

والثالث :أنهما يرفعان الظاهر والمضمر ،كالفعل المتصرّف ، فلمّا قربا من الفعل المتصرّفِ هذا القرب بَعُدَا من الاسم ؛ فلهذا لم يَجُزْ تصغيرهما ،بخلاف فعل التعجب على ما بيّنا ، فأما مثال " أفْعِل به " فإنما لم يجز تصغيره ؛لأنه لا نظير له في الأسماء إلا " أصْبِع " وهي لغة رديئة في " إصْبَع " وفيها سبع لغات :فصحاهن " إِصْبَع " بكسر الهمزة وفتح الباء ، ثم " أُصْبَع " بضم الهمزة وفتح الباء ، ثم " أَصْبع " بفتح الهمزة والباء ، ثم " أُصْبُعِ " بضم الهمزة والباء ، ثم " إِصْبَع " بكسر الهمزة والباء ، ثم " أَصْبِع " بفتح الهمزة وكسر الباء ، ثم " أصبوع " وإذا لم يكن له في كلامهم نظير سوى هذا الحرف

في لغة رديئة ، باعَدَهُ ذلك في الاسم ، فلم يُجز فيه التصغير ، ألا ترى أن وزن الفعل الذي يغلب عليه ، أو يخصه أحد الأسباب المانعة من الصرف ، وهذا مع أن لفظه لفظ الأمرِ ، والأمرُ يختص به الفعلُ فأما ما جاء من الأسماء مضمنا معنى الأمر نحو " صَهْ ، ومَهْ " وما أشبه ذلك فإنه أُقِيمَ مقامَ الأفعالِ وهي الأصل في الأمر ، وإنما فعلوا ذلك توخيّا للاختصار ؛ لئلا يفتقر إلى إظهار ضمير التثنية والجمع والتأنيث الذي يظهر في الفعل نحو " اسكتا ، واسكتوا ، واسكُتْنَ " وما أشبه ذلك .

وأما قولهم " الدليل على أنه اسمٌ " تصحيح عينه في " ما أقومه ، وما أبْيَعَهُ " قلنا :التصحيح حصل له من حيث حصل له التصغير ؛ وذلك بحمله على باب " **أفعل** " الذي للمفاضلة ،فَصُحِّحَ من حيث إنه غلب عليه شبه الأسماء بأن أُلزِمَ طريقة واحدة ، وشبه الغالب على الشيء لا يخرجه عن أصله ، ألا ترى أن الأسماء التي تتصرفُ لما غلب عليها شبه الفعل مُنِعت الجر والتنوين ،كما مَنَعَهُمَا الفعل ، ولم تخرج بشبهها للفعل عن أن تكون أسماء فكذلك هاهنا ؛تصحيح العين في نحو " ما أَقْوَمَهُ وما أَبْيَعَهُ " لايخرجه عن أن يكون فعلاً ، على أن تصحيحه غير مستنكر في كلامهم ، فإنه قد جاءت أفعالٌ متصرفة مصححة في نحو قولهم :أُغيَلت المرأة ، وأغيَمت السماء ، واستنوق الجمل واستَتْيستِ الشاة واستحوذ الشاة ، واستحوذ يستحوذ

قال الله تعالى :﴿ اَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾[81] وقال تعالى :﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِنْ المؤْمِنِينَ ﴾[82] ، وقد قرأ الحسن البصري :قال تعالى :﴿ حَتىَّ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخَرْفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾[83] ، على وزن " أفْعَلتْ " ونحو قولهم : اسْتَصَوبْتُ ، وأجْودْتُ ، وأطيبتُ وأطولتُ قال الشاعر :

[81]– سورة المجادلة ، الآية : 19 .

صددت وأطولتِ الصُّدُودَ وقلّما وِصَالٌ على طُولِ الصُّدُودِ يدُومُ

فإذا جاء التصحيح في هذه الأفعال المتصرفة تنبيها على الأصل مع بعدها عن الاسم فما ظنُّك بالفعل الجامد الذي لا يتصرفُ ؟

فإن قالوا: التصحيح في هذه الافعال إنما جاء عن طريق الشذوذ وتصحيح "أَفْعَلَ" في التعجب قياس مطرد ، قلنا قد جاء التصحيح في الفعل المتصرف على غير طريق الشذوذ وذلك نحو تصحيح "حَوِلَ ،وعَوِرَ ،وصَيِدَ " " حملا على " " احْوَلَّ ، اعْوَرَّ ، واصْيَدَّ "، وكذلك جاء التصحيح أيضا في قولهم " اجتوروا واعتونُوا " حملا على " تجاورُوا وتعاونُوا " فكذلك أيضا هاهنا حمل " ما أقْومَهُ وما أبيعهُ " على " هذا أَقْوَمُ منك ، وأَبْيَعُ منك " ومع هذا فلا ينبغي أن تحكموا له بالإسمية لتصحيحه لأن " أفَعِل به " قد جاء مصححًا ، وهو فعل كما أن التصحيح في قولهم " أقوِمْ به وأبْيِعْ به " لا يخرجه عن كونه فعلا ، فكذلك التصحيح في " ما أفعله " لا يخرجه عن كونه فعلا .

وأما قولهم : " لو كان التقدير شيء أحسن زيدًا ؛ لوجب أن يكون التقدير في قولنا ما أعظم الله : شيء أعظم الله ، والله تعالى عظيم لا بجعل جاعل " قلنا : معنى قولهم شيء أعظم الله أي وصفه بالعظمة كما يقول الرجلُ إذا سمع الأذان : كبّرتُ كبيرًا وعظّمتُ عظيمًا ، أي وصفته بالكبرياء والعظمة ، لا صيّرته كبيرًا عظيما ، فكذلك هاهنا ، ولذلك الشيء ثلاثة معانٍ :

---

[82]– سورة النساء ، الآية : 141 .

[83]– سورة يونس ، الآية : 24 .

أحدهما : أن يُعْنَى بالشيء من يعظمُه من عباده ، والثاني : أن يُعْنَى بالشيء ما يدل على عظمة الله تعالى وقدرته من مصنوعاته ، والثالث : أنه يُعْنَى به نفسه ، أي أنه عظيمٌ لنفسه لا لشيء جعله عظيمًا : فرّقا بينه وبين خلقه .

وحُكى أن بعض أصحاب أبي العباس محمد بن يزيد المبّرد قدم من البصرة إلى بغداد وقبل قدوم المبّرد إليه ، فحضر في حلقة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، فسئل عن هذه المسألة ، فأجاب بجواب أهل البصرة ، وقال : التقدير في قولهم " ما أحسنَ زيدًا " ، شيء أحسن زيدًا ، فقيل له [84]

ما تقول في قولنا " ما أعظم الله ؟ " فقال : شيء أعظمَ الله ، فأنكروا عليه ، وقالوا : هذا لا يجوز ؛لأن الله تعالى عظيم لا بجعل جاعل ، ثم سحبوه من الحلقة وأخرجوه ، فلما قدم المبّرد إلى بغداد ، أوردوا عليه هذا الإشكال ، فأجاب بما قدمنا من الجواب فبان بذلك قُبح إنكارهم عليه ، وفساد ما ذهبوا إليه .

وقيل : يحتمل أن يكون قولنا : " شيء أعظم الله " بمنزلة الإخبار ، أنه عظيم ، لا على معنى شيء أعظمه ، فإن الألفاظ الجارية عليه سبحانه يجب حملها على ما يليق بصفاته [ألا ترى أن " عسى ، لعل " فيها طرف من الشك ، ولا يحمل في حقه سبحانه على الشك] ، وكذلك امتحان (يحمل) منا على معانٍ تستحيل في حقه سبحانه إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرةً فكذلك هاهنا يكونُ المراد بقولهم " ما أعظم الله " الإخبار بأنه عظيم ، لا شيء جعله عظيما لاستحالته ؛ [وإن كان ذلك] يقدّرُ في غيره لجوازه وعدم استحالته وأما قول الشاعر :

[84]– نقلا عن : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 122 – 124 .

ما أقدر الله أن يُدْنِي على شحَطٍ من دارُهُ الحزْنُ ممن دارُهُ صُولُ

فإنه ، وإن كان لفظه لفظ تعجب ، فالمرادُ به المبالغة في وصف الله تعالى بالقدرة ،

[والإخبار عن نفوذٍ قدرته عليه إذا شاء ذلك كما يرد الأمر إلى معنى الخبر]

كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾[85] جاء بصيغة الأمر ،وإن لم يكن في الحقيقة أمرًا لامتناع ذلك في حق الله تعالى ، وأن شئت قدّرتَهُ تقدير : " ما أعظم الله " على ما بينا ، والله أعلم .

5.1: نتيجة مناقشة المسألة الأولى :

اتفق الكتاب المدرسي في طرح مسألته مع مدرسة البصرة النحوية ، وذلك في أن صيغة التعجب " **أفعل به** " فعل وليست اسما كما جاءت بها مدرسة الكوفة . وقد رجح الأنباري مدرسة الكوفة في كون صيغة التعجب اسما وليست فعلا .

2: المسألة الثانية : أفعال المدح والذم :

1.2: في الكتاب المدرسي :

1/ من صيغ المدح والذم نعم وحبَّذا ، وهما فعلان جامدان ولا يلزم تأنيثهما لتأنيث فاعليهما .

2/ من صيغ الذمّ بئس ولا حبَّذا ، وهما فعلان جامدان أيضًا .[86]

---

[85] – سورة مريم ، الآية : 75 .

[86] – الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، ص 52 .

2.2: رأي مدرسة البصرة : [87]

ذهب البصريون إلى أنها فعلان ماضيان لا يتصرفان ، وإليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين .

فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنهما فعلان اتصال الضمير المرفوع بهما على حدّ اتصاله بالفعل المتصرّف ، فإنه قد جاء عن العرب أنهم قالوا : " نِعْمَا رَجُلَيْنِ ، ونِعْمُوا رجالاً " وحكى ذلك الكسائي ، وقد رفعا مع ذلك المظهر في نحو : " نعم الرجلُ ، وبئسَ الغلامُ " والمضمر في نحو : " نعمَ رجلٌ زيدٌ ، وبئسَ غلامًا عمرو " فدلّ على أنهما فعلان .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما فعلان اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التي لا يقلبها أحد من العرب في الوقف هاءً ، كما قلبوها في نحو : " رَحمة وسَنة وشجرة " وذلك قولهم : " نِعْمَتِ المرأةُ ، وبئستِ الجاريةُ " ؛ لأن هذه التاء يختص بها الفعل الماضي ولا تتعداه ، فلا يجوز الحكم بإسمية ما اتصلت به .

3.2: رأي مدرسة الكوفة : [88]

ذهب الكوفيون إلى أن " نعم وبئس " اسمان مبتدآن .

فاحتجوا بأن قالوا :الدليل على أنهما اسمان مبتدآن دخول حرف الخفض عليهما ،فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول:"ما زيدٌ بنعمَ الرجلُ "قال حسان بن ثابت [رضي الله عنه]:

---

[87] – نقلا عن : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 90 – 91 .

[88] – نقلا عن : المرجع نفسه ، ص 86 – 87 .

ألستُ بنعمَ الجارُ يولفُ بيتُهُ أخا قلّةٍ أو معدمَ المال مصرمَا

وحكي عن بعض فصحاء العرب [أنه قال] :" نعم السيرُ على بئسَ العيرُ " ، وحكى أبو بكر بن الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن الفراء أنّ أعرابيا بُشِّر بمولودة فقيل له : نعم المولودةُ مولودَتُكَ ، فقال :"والله ما هي بنعم المولودةُ :نصرتها بكاءٌ ،وبرُّها سرقة " فأدخلوا عليهما حروف الخفضِ ، ودخول حرف الجرّ يدل على أنهما اسمان ،لأنه من خصائص الأسماء .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما اسمان أن العرب تقول :" يا نعمَ المولى ويا نعمَ النصيرُ "، فنداؤهم "نعم " يدل على الأسمية ؛ لأن النداء من خصائص الاسماء ، ولو كان فعلاً لما توجه نحوه النداء ، قالوا : ولا يجوز أن يُقال : إن المقصود بالنداء محذوف

[للعلم به] والتقدير فيه يا الله نعم المولى ونعم النصير أنت ، فحذف المنادى ؛ لدلالة حرف المنادى عليه ؛لأنا نقول : الجواب عن هذا المنادى إنما يقدَّر محذوفاً إذا وليَ حرف النداء فعلُ أمرٍ وما جرى مجراه ، كقراءة الكسائي وأبي جعفر المدني وأبي عبد الرحمان السلمى ويعقوب الحضرمي والحسن البصري وحميد الأعرج في قوله تعالى :﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ ﴾ [89] أراد :ياهؤلاء اسجدوا ، وكما قال الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدرِ وإن كان حيّانا عدى آخر الدهر

[وقال الآخر] ، وهو ذو الرمة :

[89] – سورة النمل ، الآية : 25 .

ألا يا اسلَمِي يا دارَ منَّ على البِلى ولا زال منهلاً بجرعاتك القطرُ

[وقال الآخر] ، وهو المرقش :

ألا يا اسلمِي لا صرمَ لي اليومَ فاطمًا ولا أبدًا ما دام وصلكِ دائما

[وقال الآخر] :

ألا يا اسلمِي قبل الفراقِ ظعينا تحيَّة من أمسى إليك حزينا

وقال الآخر ،[وهو الكميت] :

ألا يا اسلمِي يا ترب أسماء مِن ترب ألا يا اسلمِي حُيّيتِ عني وعن صحبي

وقال الآخر ،[وهو العجاج] :

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمى يسمسم وعن يمين سمسم

وقال الآخر :

أمسلمُ يا اسمَع يا بنَ كلّ خليفةٍ ويا سائس الدنيا ويا جبلُ الأرضِ

أراد " يا هذا اسمع " وقال الآخر :

وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطّةٍ فقلتُ سميعًا فانطقي وأصيبي

أراد : " وقالت يا هذا اسمع " فحذف المنادى ؛ لدلالة حرف النداء عليه .

وإنما اختص هذا التقدير بفعل الأمر دون الخبر ؛ لأن المنادى مخاطِب ، والمأمور مخاطب ، فحذفوا الأول من المخاطبين إكتفاءًا بالثاني عنه ، وإن كان هذا المنادى إنما يقدّر فحذفوا فيما إذا ولى حرف النداء فعلُ أمرٍ فلا خلاف أنّ " نعم المولى " خبر ، فيجب أن لا يقدّر المنادى فيه محذوفا ، يدل عليه أن النداء لا يكاد ينفكّ عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي ؛ ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهي ؛ ولذلك لما جاء بعده في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾[90] شفعه الأمر في قوله ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ فلما كان النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، وهما جملتا خطابٍ ، جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى وليس كذلك : " يا نعم المولى ويا نعم النصيرُ " ؛ لأن " نعم " خبرُ ، فلا يجوز أن يقدر المنادى فيه محذوفا .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه لا يحسنُ اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، ألا ترى أنك لا تقول : " نعمَ الرجلُ أمسِ " ، ولا " نعم الرجلُ غدًا " وكذلك أيضا لا تقول :" بئسَ الرجلُ أمس " ولا " بئسَ الرجلُ غدًا " ولما لم يحسن اقتران الزمان بهما علِم أنهما ليسا فعلين .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنهما غير متصرفين ؛ لأن التصرف من خصائص الأفعال ؛ فلما لم يتصرفا دلَّ على أنهما ليسا بفعلين .

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه قد جاء عن العرب " نعيمَ الرجلُ زيدٌ " وليس في أمثلة الأفعال " فعيل " البتة ؛ فعل على أنهما اسمان ، وليسا بفعلين .

---

[90] – سورة الحج ، الآية : 73 .

4.2: مناقشة المسألة بين الفريقين ورأي الأنباري فيها : [91]

اعترض الكوفيون على رأي البصريين بأن قالوا : قولكم : " إن هذه التاء يختص بها الفعل " ليس بصحيح ، لأنه قد اتصلت بالحرف في قولهم " رُبَّت ، وثُمَّت ، ولاتَ " ، في قوله تعالى : ﴿ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [92] قال الشاعر :

ماويّ بل ربتما غارةٍ شعواء كاللَّذعة بالميسم

وقال الآخر :

ثُمَّتَ قمنا إلى جردٍ مسوّمة أعرافهنّ لأيدينا مناديل

فلحاقها بالحرف يُبطل ما ادّعيتموه من اختصاص الفعل بها ، وإذا بطل جاز أن تكون " نعمَ وبئسَ " لا تلزمهما التاء بوقوع المؤنث بعدهما ، كما تلزم الأفعال ، ألا ترى أن قولك : " قامَ المرأةُ ، وقَعَدَ الجاريَةُ " لا يجوز في سعة الكلام ، بخلاف قولك : " نعمَ المرأةُ وبئسَ الجاريةُ " فإنه حسن في سعة الكلام ؟ فبان الفرق بينهما .

وهذا الاعتراض الذي ذكروه ساقط ، وأما التاء التي اتصلت ب " رُبَّت ، وثُمَّت " ، وإن كانت للتأنيث ، إلا أنها ليست التاء التي في " نعمت ، وبئست " ، والدليل على ذلك من وجهين: أحدهما : أن التاء في " نعمت المرأةُ ، بئست الجاريةُ " لحقت الفعل ؛ لتأنيث الاسم الذي أسند إليه الفعل ، [كما لحقت في قولهم " قامت المرأةُ " ؛ لتأنيث الاسم الذي أسند إليه الفعل] والتاء في "

---

[91] – نقلا عن : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 91 – 92 .

[92] – سورة ص ، الآية : 03 .

ربَّت ، وثُمَّت " لحقت لتأنيث الحرف ، لا لتأنيث شيء آخر ، ألا ترى أنك تقول : " رُبَّت رجلٍ أهنتُ " ، كما تقول : " رُبَّتِ امرأة أكرمتُ " ولو كانت كالتاء في " نعمت وبئست " كما جاز أن تُثبت مع المذكر ، كما لا يجوز أن تثبت مع المذكر في قولك : " نِعمت الرجلُ ، وبِئستِ الغُلامُ " فلما جاز أن تثبت التاء [في " ربت " مع المذكر] ، دل على الفرق بينهما ، والوجه الآخر : أن التاء اللاحقة للفعل تكون ساكنة ، وهذه التاء التي تلحق هذين الحرفين تكون متحركة ، فبان الفرق بينهما ، وأما " لات " فلا نسلم أن التاء مزيدة فيها ، بل هي كلمة على حيالها ، وإن سلمنا أن التاء مزيدة فيها ، فالجواب من أربعة أوجه : وجهان ذكرناهما في " رُبّت ، ثُمّت " ووجهان نذكرهما الآن ، أحدهما : أن الكسائي كان يقف عليها بالهاء ، فاحتج بأن سأل أبا فقعس الأسدي عنها فقال : " ولاه " فإذًا لا تكون بمنزلة التاء في " رُبَّت ، وثُمَّت " ، ولا بمنزلة التاء في " نِعمت وبِئست " والوجه الثاني : أن تكون التاء في (ولات حين) متصلة بحين ، لابد ، كذلك ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام ، وحكى أنهم يزيدون التاء على " حين ، وأوان ، والآن " ، فيقولون : " فعلت هذا تَحِين كذا ، وتأوَان كذا ، وتألآنَ " أي : حين كذا ، وأوان كذا ، والآن ، [قال الشاعر] وهو أبو وجزة السّعدى :

العاطفون تحين ما مِنْ عاطفٍ والمطمعون زمان أين المطعِمُ

وقال أبو زبيد الطائي :

طلبُوا صُلحنا ولا تأوانٍ فأجبنا أن ليس حين بقاء

وقال الآخر :

نوّلي قبل يوم نأبى جُمانا وصِلينا كما زعمتِ تِلاَنَا

واحتج بحديث ابن عمر حين ذكر لرجل مناقب عثمان ، فقال له اذهب بها تا لآن إلى أصحابك ، واحتج بأنه وجدها مكتوبة في المصحف الذي يقال له الإمام (تحين) فدل على ما قلناه .

وقولهم :"إن التاء لا تلزمُ في : (نِعم وبئسَ) إذا وقع المؤنث بعدهما " فليس بصحيح : لأن التاء تلزمهما في لغة شطر العرب ، كما تلزم " قام " فلا فرق عندهم بين " نَعِمَتِ المرأة وقامت المرأة " وإنما جاز عند الذين قالوا " نعم المرأة " ولم يجز عندهم " قام المرأة " لأن المرأة في قولهم : " نِعْمَ المرأة هندُ " واقعة على الجنس ، فقولهم : " الرجل أفضل من المرأة " أي جنس الرجال أفضل من جنس النساء ، كقولهم : " أهلك الناس الدينار والدرهم " أي الدراهم والدنانير ولوقوع الإنسان على الناس ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[93] أراد الناس وإذا كان المراد بالمرأة استغرق الجنس فلا خلاف أن أسماء الأجناس والجموع يجوز التذكير والتأنيث والأفعال . فلهذا المعنى حذف تاء التأنيث من حذفها من (نِعم المرأة) وإذا كانوا حذفوها في حالِ السعة ، من الفعل المؤنث [الحقيقة من قولهم : (حضر القاضي اليوم امرأة) فلا يبعدوا أن يحذفوها] من الفعل المؤنث الواقعة على الجنس ، وقد قالوا : " وما قعد إلا المرأة ، وما قام إلا الجارية " فحذفوا تاء التأنيث ألبتهُ ، ولم تأتِ مثبتة إلا في ضرورة .

[93] – سورة التين ، الآية : 04 .

فإن قالوا : إنما حذفت تاء التأنيث هاهنا ، تنبيهًا على المعنى ؛ لأن التقدير " ما قعد أحدٌ إلا المرأة ، وما قام أحدٌ إلا الجارية " .

قلنا : هذا مسلم ، ولكن اللفظ يدل على أن المرأة والجارية غير بدلٍ من " أحد " وإن كان المعنى يدل على أنه فاعل ، كما أن اللفظ يدل على أن " شَحْمًا " في قولهم : " تَفْقَأ الكبشُ شحمًا " غير عاقل ، وإن كان المعنى [يدل على أنه فاعل ، فكما أنهم حذفوا تاء التأنيث من قولهم " ما قعد إلا المرأة " تنبيهًا على المعنى] ، فكذلك حذفوها من قولهم : " نِعْمَ المرأة " تنبيهًا على أن الاسم يراد به الجنس ، ومنهم من تمسك بأن قالوا : الدليل على أنهما فعلان ماضيان أنهما مبنيان على الفتح ، ولم يكن لبنائها وجه ؛ إذْ لا علة هاهنا توجب بنائها ، قلنا وهذا تمسك باستصحاب الحال وهو من أضعف الأدلة ، والمعتمد عليه ما قدمناه .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم : " الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الجر عليهما في قوله : أَلَسْتُ بِنِعْمَ الجارُ

وقول بعض العرب : نِعْمَ السيرُ على بئسَ العيرُ ، وقول الآخر : "والله ما هي بِنَعْمَ المولودةُ " فنقول : دخول حرف الجر عليهما ليس فيه حجة ؛ لأن الحكاية فيه مقدرة ، وحرف الجر يدخل مع تقديم الحكاية على ما شبيه في فعليتهِ ، قال الراجز :

والله ما لَيْلي بِنَامَ صاحِبُهْ ولا مُخَالِطِ اللّيَانِ جَانبُهْ

ولو كان الأمرُ كما زعمتم لَوَجَبَ أن يحكم ل " نَامَ " بالإسمية ؛ لدخول الباء عليها ، وإذا لم يجز أن يحكم له بالإسمية لتقدير الحكاية ، فكذلك هاهنا ، لا يجوز أن يحكم " نِعْمَ " و " بئس "

الإسمية ؛ لدخول حرف الجر عليهما ؛ لتقدير الحكاية ، والتقدير في قوله : ألسْتُ بنعْمَ الجارُ ألستُ بجارٍ مقولٍ فيه : نِعْمَ الجارُ ، وكذلك التقدير في بعض قول العرب " نِعْمَ السيرُ على بئْسَ العيرُ " [نِعْمَ السيرُ على عيرٍ مقولٍ فيه بِئْسَ العيرُ] وكذلك التقدير في قول الآخر : " واللهِ ما هي بنعم المولودةُ " ، [مقول فيها نِعْمَ المولودة] ، واللهِ ما هي بمولودةٍ مقولٍ فيها نِعْمَ المولودةُ ، وكذلك أيضا التقدير في البيت الذي ذكرناه " والله ما ليلي بليلٍ مقول فيه نام صاحبُه " إلا أنهم حذفوا منها الموصوف وأقاموا الصفة مقامهُ كقوله تعالى : ﴿ أَنِ اِعمَل سَابِغَاتٍ وَقَدِّر﴾[94] أي دروعا سابغات وكقوله تعالى :﴿ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾[95] أي الملّة القيمة ، فصار التقدير فيها ألسْتُ بمقولٍ فيه نِعْمَ الجارُ ، ونِعْمَ السيرُ على مقولٍ فيه بئس العيرُ ، وما هي بمقولٍ فيها نِعْمَ المولودةُ ، وما ليلى بمقولٍ فيه نِعْمَ صاحبه ، ثم حذفوا الصفة التي هي " مقول " وأقاموا المحكيّ بها مقامها ، لأن القول يحذف كثيرًا كما يذكر كثيرًا ، قال الله تعالى : ﴿ وَالذِينَ اَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمُ ﴾[96] [أي يقولون : ما نعبدهم] ، وقال تعالى : ﴿ الذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤمِنُونَ بِحَمْدِ رَبِهِمْ وَيُؤمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[97] أي يقولون ربنا

وقال تعالى : ﴿ وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَابٍ سَلَامُ عَلَيْكُم ﴾[98] أي يقولون : سلام عليكم وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا ﴾[99] أي يقولون

---

[94] – سورة سبأ ، الآية : 11 .

[95] – سورة البينة ، الآية : 05 .

[96] – سورة الزمر ، الآية : 03 .

[97] – سورة غافر ، الآية : 07 .

[98] – سورة الرعد ، الآية : 23- 24 .

[99] – سورة البقرة ، الآية : 127 .

: [ربنا تقبل منا] وقال تعالى : ﴿ الذِينَ اَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمُ أَكَفَرْتُم بَعدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[100] أي يقال لهم : أكفرتم وقال تعالى : ﴿ فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾[101] أي تقولون إنّا لمغرمون .

وهذا في كلام الله تعالى ،وكلام العرب كثيرًا جدًا ، فلما كثر حذفه كثر ذِكره حذفوا الصفة التي هي " مقول " فدخل حرف الجر على الفعل لفظته وإن كانت داخلة على غيره تقديرًا كما دخلت الإضافة على الفعل لفظًا ، وإن كانت داخلة على غيره تقديرًا في قوله :

مالك عندي غير سهمٍ وجحرْ وغير كبداء شديدة الوتر

جادت بكفى من أرمى البشر

[أي : بكفى رجل كان من أرمى البشر] فحذف الموصوف الذي هو " الرجل " وأقام الجملة مقامهُ فوقعت بالإضافة إلى الفعل لفظًا ، وإن كانت داخلة على غيره تقديرًا ، فكذلك هاهنا [دخل حرف الجر على الفعل لفظًا ، وإن كان داخلاً على غيره تقديرًا] .

ونحو هذا من الاتساع مجيء الجملة الاستفهامية وصفًا في نحو قوله :

جَاءُوا بضيح هل رأيت الذئب قطً

فقوله : " هل رأيت الذئب قطً " جملة استفهامية في موضع وصف لِضيحٍ وإن كان لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا ، ولكنه كأنه قال : جاءوا بضيحٍ يقول من رآه هل رأيت الذئب قط فإنه يشبههُ.

---

[100] – سورة آل عمران ، الآية : 106 .

[101] – سورة الواقعة ، الآية : 65 – 66 .

ونحو ذلك من الاتساع مجيء الجملة الأمرية حالاً في قوله :

بئس مقام الشيخ أمرسِ أمرسِ إمّا على قعو وإمّا على اِقْعَنْسِيسِ

أي : " بئس مقام الشيخ محولاً فيه أمرسِ أمرسِ " ، ذم مقامًا يقال له كذلك فيه ، و

" أمرس " أعِد الحبل إلى موضعه من النكرة .

وإنما جاءت هذه الأشياء في أماكنها لسعة اللغة ، وحسن ذلك ما ذكرناه ، من إضمار القول فدل على أن ما تمسّكوا به من دخول حرف الجر عليهما ليس بحجة سند إليها ، ولا يعتمد عليها.

وأما قولهم : " إن العرب تقول : يا نِعْمَ المولى ، ويا نِعْمَ النصيرُ " فنقول : المقصود بالنداء المحذوف [للعلم به] والتقدير فيه : يا الله نِعْمَ المولى أنت ، ونِعْمَ النصير أنت ، [لا فرق بين الفعل وأنت] .

وأما قولهم : " إن المنادى يقدر محذوفا إذا ولى حرف النداء فعل أمر " فليس بصحيح ، لأن الفرق بين فعل الخبر والأمر فامتناع مجيء كُلّ واحدٍ منهما بعد حرف النداء ، إلا أن يقدر بينهما اسم يوجه النداء إليه ، والذي يدل على أنه لا فرق بينهما مجيء الجملة الخبرية بعد حرف النداء لتقدير حرف المنادى ، [كما تجيء الجملة الأمرية بعد حرف النداء لتقدير حرف المنادى] قال الشاعر :

يا لعنة الله والأقوام كُلّهِمُ والصالحين على سِمْعَانِ من جَارِ

أراد : يا هؤلاء لعنة الله على سمعاء .

وقال الآخر : يا لعنة الله على أهل الرَّقمْ

أهل الحميرِ والوقيرِ والخُزُمْ

وقال الآخر : [يا لعن الله بنى السّعْلَاتِ

عمرو بن ميمون شِرَارَ النّاتِ

أراد بالنات الناس ، فحول السين تاء]

وقال الآخر :

يا قاتل الله صبيانا تجيءُ بهم أم الهُيُنْبر من زَنْدٍ لها وَارِى

وهي جملة خبرية : فدل على أنه لا فرق في ذلك بين الجملة الأمرية والخبرية ، فوجب أن يكون المنادى محذوفا في قولهم " يا نِعْمَ المولى ويا نِعْمَ النصير " .

والذي يدل على فساد ما ذهبوا إليه أنّا أجمعنا على أن الجمل لا تنادى ، وأجمعنا على أن " نِعْمَ الرجلُ " جملة ، وإن وقع الخلاف في " نِعْمَ " هل هي اسم أو فعل ، وإذا امتنع بالإجماع قولنا " يا زيد منطلق " ، فكذلك يجب أن يُمتنع : " يا نِعْمَ الرجلُ " إلا على تقدير حذف المنادى على ما بينا

وأما قولهم : " إنّ النداء لا يكاد ينفك عن الأمر أو ما جرى مجراهُ ؛ ولذلك لا يكادوا يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهي " قلنا : لا نسلّم ، بل يكثر مجيء الخبر والاستفهام مع النداء كثرة الأمر والنهي ، فأما الخبر فقد قال الله تعالى : ﴿ يَاعِبَادِ لَا خَوْفُ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلَا أَنتُمْ

تَحْزَنُونَ ﴾[102] ، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾[103] وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾[104] وقال في موضع آخر : ﴿ وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾[105] وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ﴾[106] وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللهِ ﴾[107] إلى غير ذلك من المواضع .

وأما الاستفهام فقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَك ﴾ [108] وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[109] وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَآ أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[110] وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ وَيَقَوْمِ مَالِيَ أَدْعُوكُمُ إِلَى النَّجَوةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النّارِ﴾[111] إلى غير ذلك من المواضع .

فإذا كثُر مجيءُ الخبر والاستفهام كثر الأمر والنهي فقد تكافآ في الكثرة ، فلا مَزِيّةُ لأحدهما على الآخرِ .

---

[102] – سورة الزخرف ، الآية : 68 .
[103] – سورة مريم ، الآية : 45 .
[104] – سورة يوسف ، الآية : 04 .
[105] – سورة يوسف ، الآية : 100 .
[106] – سورة يونس ، الآية : 23 .
[107] – سورة فاطر ، الآية : 15 .
[108] – سورة التحريم ، الآية : 01 .
[109] – سورة الصف ، الآية : 02 .
[110] – سورة مريم ، الآية : 42 .
[111] – سورة غافر ، الآية : 41 .

وأما قولهم : " إنه لا يُحسن اقتران الزمان بهما ؛ فلا يُقال : نِعْمَ الرجلُ أمس ولا : بئس الغلام أمسِ ، ولا يجوز تصرفها " فنقولُ : إنما امتنعا من اقترانهما بالزمان الماضي سُلبا التصرفُ ؛ لأن " **نِعْمَ** " موضوعٌ لغاية المدحِ ، و " **بِئْسَ** " موضوعٌ لغاية الذّمَ ، فجعل دلالتهما مقصورة على الآن لأنك إنما تمدح وتذُم بما هو موجود في الممدوح أو المذموم ، لا بما كان فزال ، ولا بما سيكون ولم يقع

وأما قولهم : " إنه قد جاء عن العرب : نعيم الرجلُ ، فهذا مما تفرّد بروايته قطربٌ ، وهي رواية شاذة ، ولئن صحّتْ فليس فيها حجة ، لأن " **نِعْمَ** " أصله : **نُعِمَ** ، على وزن فُعِلَ – بكسر العين – فأشبع الكسرة فنشأتِ الياء " كما قال الشاعر :

تُنْفى يداها الحصى في كل هاجرةٍ نفى الدراهيم تَنْقادُ الصّياريف

أراد الدراهم والصيارف ، والذي يدل على أن أصل " **نعم** " : **نَعِمَ** ، أنه يجوز فيها أربع لغات :" **نَعِمَ** " – بفتح النون وكسر العين – على الأصل ، و " **نَعْمَ** " – بفتح النون وسكون العين – [و" **نِعِمَ** " – بكسر النون والعين – و " **نِعْمَ** " – بكسر النون وسكون العين – فمن قال "**نَعِمَ**"] – بفتح النون وكسر العين – أتى بها على الأصل ، كقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي والأعشى وخلف : ﴿ فَنَعِمَّا ﴾[112] – بفتح النون وكسر العين – وكما قال طرفة :

ما أقّلتْ قدَمٌ ناعِلَها نَعِمَ السّاعُونَ في الأمر المبرّ

[112] – سورة البقرة ، الآية : 271 .

ومن قال " **نَعْم** " – بفتح النون وسكون العين – حذف كسرة العين ، كقراءة يحيى بن وثاب : ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ﴾[113] – بفتح النون وسكون العين – ، وكما قال الشاعر :

فإن أهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضجْرَ بازلٌ من الأُدْمِ دَبْرَتَ صَفْحَتَاهُ وغَارِبُه

أراد " ضجر ، ودبرت " فحذف .

وقال الآخر :

إذا هَدرتْ شَقَاشِقُهُ وَنَشْبَتْ له الأظفار تُرْكَ له المِدَارْ

أراد " نشِبَتْ وتُرِكَ " [وقال الآخر] ، وهو أبو النجم :

هَيّجها نَضْجٌ مِنَ الطلّ سَحَرْ وهزّتِ الرّيحُ النّدَى حِينَ قُطَرْ

لو عُصْرَ هُنا البَانُ والمِسْكُ اِنْعَصَرَ

أراد " عُصِر " ، وقال الآخر : رُجْم به الشيطانُ من هَوَائِهِ

أراد " رُجْم " ، وقال الآخر : ونُفْخُوا في مدائنِهِمْ فَطارُوا

أراد " نفخوا " .

ومن قال " **نِعِم** "– بكسر النون والعين – كسر النون إتباعا لكسر العين ، [كقراءة زيد بن علي رضي الله عنه والحسن البصري وأبي نهيك ومعاذ القارئ ورؤبة] : " الحَمُدِ للهِ " بكسر الدال

[113] – سورة الرعد ، الآية : 24 .

إتباعا لكسرة اللام ، كقراءة إبراهيم بن أبي عبلة : " الحَمدُ لُلّهِ " بضم اللام إتباعا لضمة الدال ، وكقولهم " مِنْتِن " بكسر الميم إتباعا لكسرة التاء ، وكقولهم أيضا " مُنْتُن " بضم التاء إتباعا بضمة الميم .

ومن قال " **نِعْمَ** " – بكسر النون وسكون العين – نقل كسرة العين من " **نَعِم** " – بفتح النون وكسر العين – إلى النون ، وعليها أكثر القراء ، فلما جاز فيها هذه الأربع اللغات دل على أصلها " **نَعِم** " على وزن " **فَعِل** " ؛ لأن كل ما كان على وزن " **فَعِل** " من الاسم والفعل ، وعينه حرف من حروف الحلق فإنه يجوز فيه أربع لغات ، فالاسم نحو : فَخِذ وفِخِذ وفَخْذ وفِخْذ ، والفعل نحو قد شَهِد وشَهْد وشِهْد ، على ما بينا في " **نعم** " ، وإذا ثبت أن الأصل في " **نِعْمَ** " : [نُعِم ، كانت الياء في] : " نعيم الرجل " ، إتباعا فلا يكون فيه دليل على الأسمية ، فدل على أنهما فعلان لا اسمان ، والله أعلم .

5.2: نتيجة مناقشة المسألة الثانية :

اتفق الكتاب المدرسي في طرح مسألته مع مدرسة البصرة في كون " نعم وبئس " فعلان جامدان واختلف عن مدرسة الكوفة حيث قالت أنهما اسمان مبتدآن ، ورجح الأنباري مدرسة البصرة في هذه المسألة على الكوفة في كون " نعم وبئس " فعلين لا اسمين .

3: المسألة الثالثة : خصائص ليس :

1.3: في الكتاب المدرسي : [114]

لا يجوز أن يتقدم خبر ليس عليها وكثيرًا ما تزاد الباء في خبرها نحو : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ﴾ قرآن كريم .

2.3: رأي مدرسة البصرة : [115]

ذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر " ليس " عليها ، كما يجوز تقديم خبر" كان " عليها.

فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على جواز تقديم خبرها عليها قوله تعالى : ﴿ أَلاَ يَوْمَ يَأتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[116] ، وجه الدليل من هذه الآية أن قدّم معمول خبر " ليس " على " ليس " فإن قوله (يوم يأتيهم) متعلق ب (مصروف) ، وقد قدمه على " ليس " ، ولو لم يجز تقديم خبر " ليس " على " ليس " ، وإلا لما جاز تقديم معمول خبرها عليها ؛ لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل ، ألا ترى أنه لم يجز أن تقول " زيدًا أكرمتُ " إلا بعد أن جاز " أكرمتُ زيدًا " فلو لم يجز تقديم " مصروفًا " الذي هو خبر " ليس " [على ليس] ، وإلا لما جاز تقديم معموله عليها ، والذي يدل على ذلك أن الأصل في العمل للأفعال ، وهي فعل ، بدليل إلحاق الضمائر وتاء التأنيث الساكنة بها وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة والمظهرة والمضمرة كالأفعال المتصرفة ؛ فوجب أن يجوز تقديم معمولها عليها ، وعلى هذا تخرج " نعم وبئس ، وفعل التعجب ، وعسى ، وحبذا " حيث لا يجوز

---

[114] – الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، ص 204 .

[115] – نقلا عن : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 140 .

[116] – سورة هود ، الآية : 08 .

تقديم معمولها عليها أما " نعم وبئس " فإنهما لا يعملان في معارف الأعلام ، بخلاف " ليس " فنقصتا عن رتبتها ، أما فعل التعجب فأجروه مجرى الأسماء ؛ لجواز تصغيره ، فبعد عن الأفعال ، ومع هذا فلا يتصل به ضمائر الفاعل ، وإنما يُضمر فيه ، ولا تلحقه أيضا تاء التأنيث ، بخلاف " ليس "

فنقص عن رتبتها ، وأما " عسى " وإن كانت تلحقها الضمائر وتاء التأنيث ك " ليس " وإلا أنها لا تعمل في جميع الأسماء ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون معمولها إلا " أنْ " مع الفعل نحو " عسَى زيدٌ أن يقومَ " ، ولو قلت " عسى زيد القيامَ " لم يجز ، فأما قولهم في المثل " عسى الغُوَيْرُ أبُؤسًا " فهو من الشاذ الذي لا يقاس عليه ، فلما كان مفعولها مختصا بخلاف " ليس " نقصت عن رتبت " ليس " ، [فجاز أن يُمنع من تقديم معمولها عليها ولا يجوز أن تقاس ليس] على " ما " في امتناع تقديم خبرها عليها ؛ لأن " ليس " تخالف " ما " بدليل أنه يجوز تقديم خبر " ليس " على اسمها نحو " ليس قائمًا زيدٌ " ولا يجوز تقديم خبر " ما " على اسمها ، فلا يقال : " ما قائمًا زيدٌ " وإذا جاز أن تخالف ليس " ما " في جواز تقديم خبرها على اسمها جاز أن تخالفه في جواز تقديم خبرها عليها وتلحق بأخواتها .

3.3: رأي مدرسة الكوفة : [117]

ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر " ليس " عليها وإليه ذهب أبو العباس المبرّد من البصريين ، وزعم بعضهم أنه مذهب سيبويه ، وليس بصحيح ، [والصحيح أنه ليس له فيه نص]

[117] – نقلا عن : المرجع السابق ، ص 138 – 139 .

فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر " ليس " عليها ؛ وذلك لأن " ليس " فعل غير متصرّف ، فلا يجري مجرى الفعل المتصرّف كما أجريت " كان " مجراه ؛ لأنها متصرفة ، ألا ترى أنك تقول : كان يكون فهو كائن وكن ، كما تقول : ضرب يضرِب فهو ضارب ومضروب واضرب ولا يكون ذلك في " ليس " وإذا كان كذلك فوجب أن لا يجري مجرى ما كان فعلاً متصرفًا ، فوجب ألا يجوز تقديم خبره عليه ، كما كان ذلك في الفعل المتصرف ؛ لأن الفعل إنما يتصرف عمله [إذا كان متصرفًا في نفسه ، فأما إذا كان غير متصرف في نفسه ، فينبغي أن لا يتصرف عمله] ؛ فلهذا قلنا : لا يجوز تقديم خبره عليه ، والذي يدل على هذا أن " ليس " في معنى " ما " ؛ لأن " ليس " تنفي الحال ، وكما أن " ما " تنفي الحال ، وكما أن " ما " لا تتصرف ، ولا يتقدم معمولها عليها

فكذلك " ليس " على أنه من النحويين من يغلّب عليها الحرفيّة ، ويحتج بما حُكي عن بعض العرب [أنه قال] : " ليس الطيّبُ إلا المسكُ " [فرفع الطيب والمسك] جميعا ، وبما حُكي أن بعض العرب قيل له : فلان يتهدّدك ، فقال : " عليه رجلاً ليسي " فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ولو كان فعلا لوجب أن يأتي بها كسائر الأفعال ، ولأنها لو كانت فعلا لكان ينبغي أن يرد إلى الأصل إذا اتصلت بالتاء ، فيقال في " ليس " : ليست ، ألا ترى أنك تقول في " صيدَ البعير " [صيدَ البعير] فلو أدخلت عليه التاء ، لقلّت " صَيِدت " فرددته إلى الأصل ، وهو الكسر ، [فلما لم يرد إلى الأصل – وهو الكسر –] دلّ على أن المغلب عليه الحرفية ، لا الفعلية ، وقد حكى سيبويه في كتابه أن بعضهم يجعل " ليس " بمنزلة " ما " في اللغة التي لا يعملون فيها " ما " ، فلا يعملون " ليس " في شيء وتكون كحرف من حروف النفي ، فيقولون : ليس زيدٌ منطلقٌ ،وعلى

كل حال فهذه الأشياء ، وإن تكن كافية في الدلالة على أنها حرف فهي كافية في الدلالة على إيعَالها في شبه الحرف وهذا ما لا إشكال فيه ، وإذا ثبت أنها لا تتصرف وأنها موغلة في شبه الحرف ، فينبغي أن لا يجوز تقديم خبرها عليها ؛ ولأن الخبر مجحود فلا يتقدم على الفعل الذي جحده على ما بيّنا .

4.3: مناقشة المسألة بين الفريقين ورأي الأنباري فيها : [118]

والصحيح عندي ما ذهب إليه الكوفيون .

وأما الجواب عن كلمات البصريين ، فهو ؛ أما قوله تعالى : ﴿ أَلاَ يَوْمَ يَأتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾فلا حجة لهم فيه ؛ لأنا لا نسلم أن " يوم " متعلق بمصروف ، ولا أنه منصوب ، وإنما هو مرفوع بالابتداء ، وإنما بنى على الفتح ؛ لإضافته إلى الفعل ، كما قرأ نافع والأعرج قوله تعالى:﴿ هَذَا يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[119] فإن " يوم " في موضع رفع ، وإنما بُني على الفتح ؛لإضافته للفعل فكذلك هاهنا ،ولئن سلّمنا أنه منصوب إلا أنه منصوب بفعل مقدّر دل عليه

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ وتقديره : يلازمهم يوم يأتيهم ، أي العذاب ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنَ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾[120]

وأما قولهم : " إن الأصل في العمل للأفعال ، وهي فعل يعمل في الأسماء المعرّفة والنكرة والمظهرة والمضمرة " قلنا : هذا يدل على جواز إعمالها ؛ لأنها فعل ، والأصل في الأفعال أن تعمل ، ولا يدل

---

[118] – نقلا عن : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، ص 139 – 142 .

[119] – سورة المائدة ، الآية : 119 .

[120] – سورة هود ، الآية : 08 .

على جواز تقديم معمولها ؛ لأن تقديم المعمول على الفعل يقتضي تصرّف الفعل في نفسه ، و" ليس" فعل غير متصرّف ، فلا يجوز تقديم معموله عليه ، فنحن عملنا بمقتضى الدليلين ، فأثبتنا لها أصل العمل ؛ لوجود أصل الفعلية ، وسلبناها وصف الفعلية ، وهو التصرّف ؛ فاعتبرنا الأصل بالأصل والوصف بالوصف ، والذي يشهد بصحة ذلك الأفعال المتصرّفة ، نحو : ضربَ وقتلَ وشتمَ ، فإنها لما كانت أفعالاً متصرّفةً أُثبت لها أصل العمل ووصفه ، وجاز إعمالها ، وجاز تقديم معمولها عليها نحو : " عمرًا ضربَ زيدٌ " وكذلك سائرها ، والأفعال غير المتصرّفة ، نحو : عسى ونعم وبئس [وفعل التعجب] ، خصوصا على مذهب البصريين فإنها لما كانت أفعالاً غير متصرفة ، أثبت لها أصل العمل ؛ فجاز إعمالها وسلبت وصف العمل ، فلم يجز تقديم معمولها عليها ، [فكذلك هاهنا] .

وأما قولهم " إنه لا يجوز أن تقاس ليس على ما " قلنا : قد بينا وجه المنافية بينهما واتفاقهما في المعمول ؛ لأن كل واحد منهما لنفي الحال كالآخر .

وقولهم " إن ليس تخالفهما ؛ لأنه يجوز تقديم خبر ليس على اسمها ، بخلاف ما " ليس من شرط القياس أن يكون المقيسُ مساويا للمقيس عليه في جميع أحكامه ، بل لابدّ أن يكون بينهما مغايرةٌ في بعض أحكامه .

قولهم : " فإذا جاز أن تخالفها في تقديم خبرها على اسمها جاز أن تخالفها في تقديم خبرها عليها " قلنا : هذا لا يلزم ؛ لأن " ليس " أخذت شبها من " كان " ؛ [لأنها فعل كما أنها فعل] وشبها من " ما " لأنها تنفي الحال ، [كما أن " ما " تنفي الحال] ، وكان يجوز تقديم خبرها عليها ، وما

لا يجوز تقديم خبرها على اسمها ، فلما أخذت شبها من " كان " وشبها من " ما " صار لها منزلة بين المنزلتين ، فجاز تقديم خبرها على اسمها ؛ لأنها أقوى من " ما " ؛ لأنها فعل و " ما " حرف والفعل أقوى من الحرف ، ولم يجز تقديم خبرها عليها ؛ لأنها أضعف من " كان " لأنها لا تتصرف و [كان تتصرف] وهذا في غاية الوضوح والتحقيق ، والله أعلم .

5.3: نتيجة مناقشة المسألة الثالثة :

اتفق الكتاب المدرسي في طرح مسألته مع مدرسة الكوفة في عدم جواز تقديم خبر ليس عليها واختلف مع مدرسة البصرة في جواز تقديم خبرها عليها .وقد رجَّح الأنباري مدرسة الكوفة في هذه المسألة حيث إنه لم يجوز تقديم خبر ليس عليها .

من خلال دراستنا وتطبيقنا على هذه المسائل المحدّدة من الكتاب المدرسي للسنة ثانية ثانوي أدبي وجدنا أن هناك ثلاث مسائل مختلف فيها بين المدرستين ، وهي (صيغة فعل التعجب ، وأفعال المدح والذم ، وخصائص ليس) ، مع أن ابن الأنباري رجَّح مسألتين لمدرسة الكوفة وهما : صيغة فعل التعجب على أنها اسمية ، وخصائص ليس على عدم تجويز تقديم خبرها عليها ، ووافق مدرسة البصرة في مسألة واحدة فقط وهي : أفعال المدح والذم على أنهما فعلان . وذلك بعد دراسة موضوعية معمقة لم ينجز فيها إلا للحجة والدليل حسب طرحه الذي تتبعناه .

المطلب الثاني : نتائج الدراسة :

الحمد لله المنعم المتفضل بهذا الجهد الذي نسأله أن يكون إضافة علمية متميزة ... ولا يحلو السفر في رحاب البحث إلا بمتعة الاستراحة في نتائجه ، وذلك بإجابتنا على الإشكالية التي طرحناها في مقدمة هذا البحث وقد خلصنا إلى ما يلي :

1/ شمولية الدراسة ، حيث اشتملت على تاريخ النحو ، وعلم أصول النحو .

2/ يعد كتاب الإنصاف الفيصل العادل بين المدرستين النحويتين – البصرة والكوفة – في المسائل النحوية .

3/ كتاب الإنصاف زاخر بالمسائل الخلافية ، وقد قام الأنباري رحمه الله بعرض مسائله بشكل منظم دون إغفال لمسته الخاصة في الرأي والحكم .

4/ ظاهرة الاختلاف بشكل عام والنحوي بشكل خاص فطرة بشرية تخضع لعوامل كثيرة ذاتية وبيئية.

5/ الاختلاف ظاهرة صحية في إطار خدمة العلم وكشف أستاره وخباياه .

6/ لقد أثرت ظاهرة الخلاف في المسائل النحوية على مناهجنا التعليمية المعاصرة ، وذلك لوعي التلاميذ على أنه يوجد مدارس نحوية انبثقت بعد وجود النحو العربي ، واختلفت هذه الأخيرة في تلك المسائل التي طرحت عليهم خلال فصلهم الدراسي .

7/ بث روح الحماسة والمطالعة على تاريخ كلتا المدرستين ودراسة مناهجها ، وعلى أي أساس تقيم مسائلها النحوية .

8/ حسب دراستنا التطبيقية لقد مال الكتاب المدرسي إلى مدرسة البصرة النحوية في عرض مسائله.

9/ لقد طرح الكتاب المدرسي 24 موضوعا نحويا ، ويندرج تحت كل موضوع عدة مسائل غير أنه يوجد ثلاث مسائل فقط مختلف فيها بين المدرستين النحويتين وهي :

* صيغة فعل التعجب " أفعل به " اسم كانت أم فعل ، وقد مال فيها الكتاب المدرسي إلى مدرسة البصرة في كون صيغة فعل التعجب فعل وليست اسم .

* أفعال المدح والذم " نعم وبئس " فعلين كانا أم اسمين ، وقد مال فيها الكتاب المدرسي إلى مدرسة البصرة في كون " نعم وبئس " فعلين لا اسمين .

* وخصائص ليس في عدم جواز تقديم خبرها عليها ، أو تقديمه – خبرها – ، وقد مال فيها الكتاب المدرسي إلى مدرسة الكوفة في عدم جواز تقديم خبر ليس عليها .

10/ هناك مسائل قد وردت وطرحت في الكتاب المدرسي ، ولكن غير وارد اختلافها في كتاب الإنصاف للأنباري وهذا يعني أنها غير مختلف فيها بين المدرستين، نذكر بعض منها :

* النسبة .

* الاختصاص .

* الأحرف المشبهة بليس .

* المصدر وأنواعه .

* المصدر الدال على المرة والهيئة .

* الاستغاثة والندبة ... إلخ .

11/ توجد مواضيع في مقرر النحو للسنة ثانية ثانوي أدبي غير مطروحة – في الكتاب – وقد كُلّفَ الأستاذ بتحضيرها وتقديمها للتلاميذ ، ونحن غير ملزمات بدراستها وتطبيقها على كتاب الإنصاف .

12/ يوجد مسألة واحدة فقط متفق فيها بين المدرستين النحويتين من خلال الكتاب المدرسي للسنة ثانية ثانوي أدبي وهي : أن الأفعال المضارعة معربة وليست مبنية .

خاتمة

خـاتمة

بعد توصلنا في بحثنا هذا إلى وضع دراسة متواضعة عن الخلاف بين البصريين والكوفيين أسبابه ونتائجه ، وتطرقنا لعلاقة هذا الخلاف بالمسائل النحوية وذلك بانتقائنا نموذج كتاب الإنصاف والنظر في مسائله وعلاقة مواضيع كتاب السنة الثانية ثانوي أدبي به ، يمكن أن نلخص ما قمنا به بالنتائج الآتية :

1/ تعد البصرة الرحم الذي احتضن النحو العربي وذلك للأسباب أهمها :

أ/ موقعها الجغرافي .

ب/ الاستقرار الاجتماعي .

ج/ توافد التُجار على سوق البصرة .

2/ اعتمد المذهب البصري على العناصر الثلاثة .

أ/ صحة من أخذوا منهم من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة .

ب/ الثقة برواية ما سمعوه عنهم عن طريق الحفظة الذين بذلوا النفس والنفيس في نقل المرويات عن قائليها .

ج/ الكثرة الفيّاضة من هذا المسموع الذي قادهم إلى الاطمئنان في بناء القواعد النحوية .

3/ نجد الدراسات النحوية في الكوفة جاءت متأخرة عن البصرة بنحو قرن من الزمان .

4/ أقام الكوفيون مدرستهم النحوية على نمط خاص مخالف للنمط البصري ، وتفردوا بخصائص .

5/ اعتمد المذهب الكوفي على عنصريين .

أ/ التوسع في الرواية .

ب/ التوسع في القياس .

6/ إن الخلاف بين البصريين والكوفيين كان سياسيا قبل أن يكون علميا أو دينيًا .

7/ كما أن الخلاف بين المدرستين اتخذ عدة أوجه منها :

أ/ الخلاف في المسائل النحوية .

ب/ الخلاف في المسائل الصرفية .

ج/ الخلاف في المسائل الصوتية .

د/ الخلاف في القراءات القرآنية .

8/ من بين النتائج التي تمخضت عن خلاف البصريين والكوفيين ظهور كتب ومؤلفات عالجت هذه المسألة منها الإسعاف في مسائل الخلاف لابن إيّاز ، المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون للابن كيسان ولعل من أشهرها هو كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري الذي كان موضوع دراستنا .

9/ من مظاهر الخلاف بين البصريين والكوفيين اختلافهم في المسائل النحوية وذلك للاشتمال كل مدرسة على أصحاب النحو ، فالبصرة ينتمي إليها سيبويه والكوفة ينتمي إليها الكسائي .

10/ انجز على اختلاف المدرستين في المسائل النحوية اختلافهم في القراءات القرآنية .

11/ تتضمن المواضيع المطروحة في كتاب السنة ثانية ثانوي أدبي على مسائل نحوية ومسائل صرفية

12/ تطغى المسائل النحوية على المسائل الصرفية .

13/ بالنسبة للمواضيع المختلف فيها :

أ/ مسألة صيغة التعجب " أفعل به "

ب/ مسألة أفعال المدح والذم " نعم وبئس "

ج/ مسألة خصائص ليس " عدم جواز تقديم خبر ليس عليها "

14/ أما المسألة الوحيدة المتفق فيها

* مسألة الأفعال المضارعة على أنها معربة

15/ نجد أن الكتاب المدرسي في مقرر النحو طرح مسائل المذهبين معًا فنجده أيّد البصرة في مسألتين وأيّد الكوفة في مسألة واحدة فقط .

وأتفق مع المدرستين في مسألة أخرى – الأفعال المضارعة معربة –

16/ إن احتدام الصراع بين البصريين والكوفيين جعل الغيورين على اللغة يسئمون العيش في هذا الجو العلمي المتخالف الآراء وشرعوا يفكرون في إنشاء مذهب جديد لا يهمل ما توصل إليه كل فريق من قواعد بنّاء وأحكام صائبة فيأخذها ويُنميها ويطرح كل ما لا حاجة للنحوي إليه من تعريفات تُثقل كاهل باحث اللغة ودارسها ، مذهب يجمع بين المذهبين – البصري والكوفي – يأخذ من كل مذهب أحسن آراءه وأفضلها وهذا ما عُرف بالمذهب البغدادي .

ولعلّ هذا الأخير يثير مجال البحث ، ويكون موضوعا للدراسة فيما بعد ونرجو أن نكون قد وفينا هذا الموضوع بعضًا من الدراسة والبحث والوصف والتحليل .

وإلى هنا نرفع أكف الضراعة إلى المولى عزّ وجلّ ، راجين منه التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وسلم عليه تسليما ، ولله الحمد أولاً وأخيرًا .

الفضل والمنّه لله تعالى أن وفقنا لإتمام هذا العمل فنحمدك حمدًا لا يحصى ونثني على جلال ذاتك وعظيم صفاتك بما يليق بمقام سلطانك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1/ آبادي ، الفيروز ، القاموس المحيط ، المطبعة المصرية ، دط ، 1933 م .

2/ أبو بكر الصادق ، سعد الله ، الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة ، تأليف مجموعة كمال خلفي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،الجزائر، 2007 م- 2008 م .

3/ الأنباري ، أبي البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، تحقيق جودت مبروك محمد مبروك ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، دت .

4/ الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ، أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، دط ، دت .

5/ الأنباري ، أبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد ، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو،تحقيق سعيد الأفغاني،دارالفكر،دمشق،ط1،

1377 هـ -1957م.

6/ الأنباري ،كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الدلائع ، القاهرة ، دط ، دت .

7/ البابلي ، باسم عبد الرحمن صالح ، ما فات كتب الخلاف من مسائل الخلاف في همع الهوامع (دراسة تحليلية) ، إشراف محمود محمد العمودي . الجامعة الإسلامية ، غزة ، دط 1429 هـ - 2008 م .

8/ البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف ، ج5 ، دار المعرفة ، لبنان ، دط ، دت .

9/ البع ، محمد رمضان ، المسائل الصوتية في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري ، م18 ، كلية الآداب وقسم اللغة العربية ، غزة ، فلسطين

دط 2010 م.

10/ الحموي ، شهاب الدين ياقوت ، معجم البلدان ، م1 ، تحقيق عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1990 م .

11/ الراجحي ، عبده ، دروس في المذاهب النحوية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط 1970م .

12/ السامرائي ، إبراهيم عبود ، المفيد في المدارس النحوية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ط1 ، 1427 هـ - 2007 م .

13/ السيد ، عبد الرحمن،مدرسة البصرة النحوية،دار المعارف ، مصر ، دط ، 1968 م .

14/ الطنطاوي ، محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ط1 ، 1387 هـ - 1968 م .

15/ بن تواتي ، تواتي ، المدارس النحوية ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، دط ، دت .

16/ جودت مبروك ، محمد ، الدرس النحوي عند ابن الأنباري ، مكتبة الآداب ، القاهرة دط 1423 هـ - 2002 م .

17/ دائرة المعارف الإسلامية ، ج3 ، مطبعة القاهرة ، دط ، 1933 م .

18/ روّاي ، صلاح ، النحو العربي نشأته ، تطوره ، مدارسه ، رجاله ، دار غريب القاهرة دط 2003 م .

19/ سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، دط ، دت .

20/ صالح ، محمد سالم ، أصول النحو دراسة في فكر الأنباري ، دار السلام ، ط1 1427 هـ - 2006 م .

21/ ضيف ، شوقي ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط11 ، 2008 م .

22/ عمر ، أحمد مختار ، البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب للنشر ، القاهرة ، ط6 1988 م .

23/ مخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، المجمع الثقافي ، دط 1423 هـ - 2002 م .

24/ معروف ، محمد ، اختلاف الآراء النحوية بين مدرسة البصرة والكوفة (دراسة وصفية تحليلية) جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية ، بمالانج ، دط ، 2010 م .

25/ نحلة ، محمود أحمد ، النحو العربي أعلام ونصوص ، دار المعرفة ، الجامعة الإسكندرية دط 2002 م .

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقمها
البقرة	﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا ﴾	127
	﴿ أحل لكم ليلة الصيام ﴾	187
	﴿ فنعما ﴾	271
آل عمران	﴿ الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾	106
	﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بمآءاتهم الله من فضله هو خير لهم ﴾	180
النساء	﴿ ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ﴾	141
المائدة	﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾	119
يونس	﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ﴾	23
	﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت ﴾	24
هود	﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحسبه ﴾	08
	﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ﴾	08
يوسف	﴿ يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا ﴾	04

	﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رءيي من قبل ﴾	100
الرعد	﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ﴾	23 - 24
إبراهيم	﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾	04
مريم	﴿ يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ﴾	42
	﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾	45
	﴿ فليمدد له الرحمن مدّا ﴾	75
الحج	﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾	73
النمل	﴿ ألا يسجدوا لله ﴾	25
سبأ	﴿ أن اعمل سابغات وقدر ﴾	11
فاطر	﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾	15
ص	﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾	03
الزمر	﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم ﴾	03
غافر	﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به	04

	ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ ﴿ وياقوم مالي أدعوكم إلى النجوة وتدعونني إلى النار ﴾	41
الزخرف	﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾	68
الواقعة	﴿ فظلتم تفكهون إنا لمغرمون ﴾	65 – 66
المجادلة	﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾	19
الصف	﴿ يا أيها الذين ءآمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾	02
التحريم	﴿ يا أيها النبي لم تحرم مآ أحل الله لك ﴾	01
التين	﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾	04
البينة	﴿ وذلك دين القيمة ﴾	05

فهرس المواضيع

	المقدمة	أ – هـ
	الفصل الأول : مدرستا البصرة والكوفة والخلاف بينهما .	7
	المطلب الأول : مدرسة البصرة .	7
1	تعريف البصرة .	7
1.1	التعريف اللغوي .	7
2.1	التعريف الاصطلاحي .	8
2	نشأة المدرسة البصرية .	10 - 9
3	خصائص المنهج البصري .	10
4	أعلام مدرسة البصرة .	11
1.4	ابن أبي إسحاق	11
2.4	سيبويه .	12 - 11
3.4	الأخفش الأوسط .	13 - 12

4.4	المبّرد .	13
5.4	أبو اسحاق الزجاج .	14 - 13
6.4	السيرافي .	14
	المطلب الثاني : مدرسة الكوفة .	15
1	تعريف الكوفة .	15
2	نشأة مدرسة الكوفة .	17 -15
3	خصائص المنهج الكوفي .	18 - 17
4	أعلام مدرسة الكوفة .	18
1.4	الكسائي .	19 - 18
2.4	الفّراء .	20 - 19
3.4	ثعلب .	21 - 20
4.4	الرؤاسي .	22 - 21
5.4	الهراء .	22
6.4	أبو بكر الأنباري .	23 - 22

	المطلب الثالث : الخلاف بين المدرستين .	23
1	أسبابه .	24 - 23
2	أصوله .	26 - 24
	الفصل الثاني : كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ومؤلفه .	28
	المطلب الأول : المؤلّفِ .	28
1	اسمه ومولده ونشأته ووفاته .	29 - 28
2	أخلاقه ونشاطاته وآثاره .	29
1.2	أخلاقه .	29
2.2	رحلاته .	30
3.2	مؤلفاته .	30
1.2.3	مؤلفاته الدينية .	31 - 30
2.3.2	مؤلفاته في العربية والأدب .	31

3.3.2	مؤلفاته في التاريخ والسير .	32
4.3.2	مؤلفاته في علم الرؤيا .	32
5.3.2	مؤلفات أخرى .	32
4.2	اشتغاله بالتدريس والتأليف .	33
3	مكانته العلمية وآراء العلماء فيه .	33
1.3	مكانته العلمية .	34 - 33
2.3	آراء العلماء فيه .	35 - 34
4	شيوخه وتلاميذه .	36
1.4	شيوخه .	36
2.4	تلاميذه .	37
	المطلب الثاني : وصف كتاب الإنصاف .	38
1	تعريف الكتاب .	38
2	سبب تأليفه .	38
3	أهميته .	39

4	منهجه .	40 - 39
5	وصفه العام .	41 - 40
6	بعض الآراء فيه .	42
7	نماذج من محتواه .	46 - 42
	الفصل الثالث : كتاب السنة الثانية ثانوي أدبي ومقرر النحو فيه .	48
	المطلب الأول : وصف الكتاب .	48
1	وصف خارجي .	48
2	المحتوى .	49
3	نماذج من المحتوى .	52 - 49
	المطلب الثاني : مقرر النحو .	52
1	منهجية الكتاب في عرض النشاطات .	54 - 52
2	المواضيع المقررة في قواعد النحو .	56 - 55

	الفصل الرابع : دراسة المسائل الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة في المدونة .	58
	المطلب الأول : عرض ومناقشة المسائل المختلف فيها .	58
1	المسألة الأولى : التعجب .	58
1.1	في الكتاب المدرسي .	58
2.1	رأي مدرسة البصرة .	59
3.1	رأي مدرسة الكوفة .	61 - 60
4.1	مناقشة المسألة بين الفريقين ورأي الأنباري فيها .	71 - 61
5.1	نتيجة مناقشة المسألة الأولى .	71
2	المسألة الثانية : أفعال المدح والذم .	71
1.2	في الكتاب المدرسي .	71
2.2	رأي مدرسة البصرة .	72 - 71
3.2	رأي مدرسة الكوفة .	74 - 72
4.2	مناقشة المسألة بين الفريقين ورأي الأنباري فيها .	84 - 75

5.2	نتيجة مناقشة المسألة الثانية .	84
3	المسألة الثالثة : خصائص ليس .	84
1.3	في الكتاب المدرسي .	84
2.3	رأي مدرسة البصرة .	86 - 85
3.3	رأي مدرسة الكوفة .	87 - 86
4.3	مناقشة المسألة بين الفريقين ورأي الأنباري فيها .	89 - 88
5.3	نتيجة مناقشة المسألة الثالثة .	90 - 89
	المطلب الثاني : نتائج الدراسة .	90
	الخاتمة .	أ - د
	قائمة المصادر والمراجع .	100 - 98